برنامج مهمات العلم

١٥

الكتاب الخامس عشر

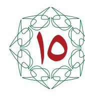
شرح تفسير الفاتحة وقصار المفصل

تصنيف فضيلة الشيخ

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين


برنامج مهمات العلم


١٥


شرح
تفسير الفاتحة
وقصار المفصل

شرح
تفسير الفاتحة وقصار المفصل

تصنيف فضيلة الشيخ

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي صَيَّرَ الدِّينَ مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ، وَجَعَلَ لِلْعِلْمِ بِهِ أُصُولًا وَمُهِمَّاتٍ، وَأَشْهدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَقًّا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَحَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّيُوخِ وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُمْ، بِإِسْنَادِ كُلٍّ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي قَابُوسَ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَٰنُ، ٱرْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ؛ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

وَمِنْ آكَدِ الرَّحْمَةِ رَحْمَةُ المُعَلِّمِينَ بِالمُتَعَلِّمِينَ، فِي تَلْقِينِهِمْ أَحْكَامَ الدِّينِ، وَتَرْقِيَتِهِمْ فِي مَنَازِلِ اليَقِينِ.

وَمِنْ طَرَائِقِ رَحْمَتِهِمْ: إِيقَافُهُمْ عَلَى مُهِمَّاتِ العِلْمِ؛ بِإِقْرَاءِ أُصُولِ المُتُونِ، وَبَيَان مَقَاصِدِهَا الكُلِّيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الإِجْمَالِيَّةِ؛ لِيَسْتَفْتِحَ بِذَٰلِكَ المُبْتَدِئُونَ تَلَقِّيَهُمْ، وَيَجِدُ فِيهِ المُتَوَسِّطُونَ مَا يُذَكِّرُهُمْ، وَيَطَّلِعُ مِنْهُ المُنْتَهُونَ إِلَى تَحْقِيقِ مَسَائِلِ العِلْمِ.

وَهَٰذَا شَرْحُ الكِتَابِ الخَامِسَ عَشَرَ مِنْ (بَرْنَامَجِ مُهِمَّاتِ العِلْمِ) فِي (سَنَتِهِ السَّابعة)، سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ، وَهُوَ كِتَابُ «تَفْسِيرِ الفَاتِحَةِ وَقِصَارِ المُفَصَّلِ»، لِمُصَنِّفِهِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمَدٍ العُصَيْمِيِّ.

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

الحمد لله خلق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا، وأنزل الكتاب ليكون للعالمين نذيرًا، وصلَّى الله على عبده ورسوله محمَّدٍ المبعوث داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ معرفةَ معاني كلام الله، والإشرافَ على مكنونِ هداه، هي أولى ما أُدمن فيه النَّظرُ، وحُرِّكت نحوَه الفِكَرُ، فَبِه تُحصِّل النُّفوس راحتَها، وتَحُوزُ القلوبُ طمأنينتَها.

ألَا وإنَّ قصارَ مفصَّلِه اللَّطيف، من الضُّحى إلى آخر المصحفِ الشَّريف، محلُّ عناية جمهور المسلمين حفظًا؛ لِقِصَرِ آياتها، وعذوبةِ سياقِها، ولكلٍّ فضائلُ مخصوصةٌ، ومقاصدُ منصوصةٌ، فهي حقيقةٌ بالتَّفهُّم، وجديرةٌ بالتَّعلُّم.

وهٰذا تفسيرٌ مختصَرٌ للسُّورِ المذكورة، يَقرُب تناولُه، ويَسهُل تأمُّلُه، قيَّدتُه راجيًا منفعتَه التَّامَّة، وملتمِسًا بركتَه العامَّة، مستَفتَحًا بتفسير الفاتحة لِـمَا لها من مقامٍ عظيمٍ، ومنزلٍ كريمٍ.

واللهَ أسألُ السَّلامةَ من الزَّلَلِ، واتِّقاءَ سوء القَوْلِ والعملِ.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ٱبْتدَأَ المصنِّفُ وفَّقهُ اللهُ كتابَهُ بالبسْملةِ، والحمدلَةِ، والصَّلاة والسَّلام على مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلَى آله وصحبِه؛ وهَؤُلَاءِ الأربعُ منْ آداب التَّصْنيفِ ٱتِّفاقًا.

ثمَّ ذكر أنَّ (معرفةَ معاني كلام الله، والإشرافَ على مكنونِ هداه) - أي: الاطِّلاع على ما ٱدُّخر فيه من الهدى، فأصل (الكنِّ) هو: الادِّخار والإخفاء -، (هي أولى ما أُدمن فيه النَّظرُ) - أي: أُطيل فيه النَّظر-، (وحُرِّكت نحوَه الفِكَرُ، فَبِه تُحصِّل النُّفوس راحتَها، وتَحُوزُ القلوبُ طمأنينَتها).

فالمنفعة الموجودة من معرفة معاني كلام الله: ما يتبوَّأُه العبد من مقامٍ حميدٍ، **يُدرِك فيه فضيلتين عظيمتين:**

إحداهما: المذكورة في قوله: (فَبِه تُحصِّل النُّفوس راحتَها)، فإنَّ راحة النُّفوس هي معرفتها بمعاني كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّه ربُّها الَّذي خلَقها، وغذَّاها بالنِّعم، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أنزل عليهمُ القرآن كلامًا منه سبحانه إليهم.

والأخرى: في قولِه: (وتَحُوزُ القلوبُ طمأنينَتها)؛ أي: تنالُ القلوب طمأنينتها؛ لأنَّ سببَ طمأنينة القلب هو ٱمتلاؤه بذكر الله؛ قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]، وأجلُّ ذكر الله قراءة كتابه الكريم.

وما ذكره من أنَّ معرفة معاني القرآن الكريم تُشرف بصاحبها على مكنون هداه - أي تُطلعه على ما فيه من الهدى - **يشمل الهدايتين للقرآن:**

إحداهما: هدايةٌ عامَّةٌ للنَّاس أجمعين.

والأخرى: هدايةٌ خاصَّةٌ للمؤمنين.

والفرق بينهما: أنَّ هدايتَه العامَّةَ لإقامة الحجَّة، وهدايتَه الخاصَّةَ لإيضاح المحجَّة، فالقرآن حجَّةُ الله على خلقه، وهو أيضًا الموضِّح للصِّراط المستقيم، والدِّين القويم الَّذي جاء به النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتؤول منفعة النَّاس بالقرآن إلى انقطاع حُجَجِهم، وأمَّا المؤمنون فإنَّ ما ينالونه من القرآن هو النَّفع العظيم في مصالح الدُّنيا والآخرة، فلا شيءَ أنفع لهم من القرآن الكريم في العاجل والآجل.

ثمَّ ذكر أن (قصارَ مفصَّلِه اللَّطيف، من الضُّحى إلى آخر المصحفِ الشَّريف، محلُّ عناية جمهور المسلمين)، وبيَّن هَٰذِهِ العناية لقوله: (حِفْظًا)، فجمهور النَّاس من أهل الإسلام يحفظون تلك السُّور، وعلَّل ذَٰلِكَ بقوله: (لِقِصَرِ آياتها، وعذوبةِ سياقِها)، فآياتها قصيرةٌ، وسياقها عذبٌ، مع ما اقترن بذَٰلِكَ من فضائلَ مخصوصةٍ، ومقاصدَ منصوصةٍ، ذكرها بقوله: (ولكلٍّ فضائلُ مخصوصةٌ، ومقاصدُ منصوصةٌ).

ثمَّ قال: (فهي حقيقةٌ بالتَّفهُّم)؛ أي: محلٌّ معظَّمٌ للإقبال عليها بالفهم، (وجديرةٌ بالتَّعلُّم)؛ أي: مستقرٌّ حميدٌ لطلب العلم في معانيها.

فمعرفة معاني المفصَّل من أعظم ما يُنتفع به في تفسير القرآن، وأولاه قِصارُه؛ لما قدَّم ذكره من كون تلك السُّور هي محلُّ عناية جمهور المسلمين. فمن رام أن يصيب من التَّفسير حظًّا جامعًا اعتنى بطَرَفَيْهِ، وهما: المفصَّل، وسورة البقرة، فإنَّ المفصَّلَ يجمع جُلَّ ما يتعلَّق بخطاب الشَّرع الخبريِّ، والبقرةَ تجمع جُلَّ ما يتعلَّق بخطاب الشَّرع الطَّلبيِّ، فمن وعى صَنْعَةَ التَّفسير بهَٰذَين الطَّرفين؛ صارت له مُكنةٌ فيه، وأمكنَه أن يبنيَ على تحصيل الَّذي تلقَّاه عن شيوخه في هَٰذَين الطَّرفين.

ثمَّ قال: (وهٰذا تفسيرٌ مختصَرٌ للسُّورِ المذكورة، يَقرُب تناولُه، ويَسهُل تأمُّلُه، قيَّدتُه راجيًا منفعتَه التَّامَّة، وملتمِسًا بركتَه العامَّة).

ثمَّ ذكر أنَّه زاد ما لا بدَّ منه من غير المفصَّل، فقال: (مستَفتَحًا بتفسير الفاتحة لِـمَا لها من مقامٍ عظيمٍ، ومنزلٍ كريمٍ)، فالفاتحة لكلِّ خيرٍ فاتحةٌ، وهي ركن الصَّلاة الأعظم.

ثمَّ ختم بقوله: (واللهَ أسألُ السَّلامةَ من الزَّلَلِ، واتِّقاءَ سوء القَوْلِ والعملِ).



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة الفاتحة

عن أبي سعيدِ ابنِ المُعلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أصلِّي فدعاني النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم أُجِبْه، قلتُ: يا رسول الله؛ إنِّي كنتُ أُصلِّي، قال: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ**: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]؟»، ثمَّ قال: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ؟**»، فأخذ بيدي، فلمَّا أردْنَا أن نخرجَ قلتُ: يا رسول الله؛ إنَّك قلتَ: لأُعلِّمنَّك أعظم سورةٍ من القرآن، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١﴾ [الفاتحة]، **هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**». رواه البخاريُّ.

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١﴾ [الفاتحة]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ**: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢﴾ [الفاتحة]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ**: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٣﴾ [الفاتحة]، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي** - وقال مرَّةً: **فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي** -، **فَإِذَا قَالَ**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤﴾ [الفاتحة]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ**: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٦ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**». رواه مسلمٌ.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ذكر المصنِّفُ وفَّقهُ اللهُ حديثين عظيمين في بيان فضل الفاتحة.

فالحديث الأوَّل: حديثُ (أبي سعيدٍ ٱبنِ المُعلَّى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) أنَّه (قال: كنتُ أصلِّي... الحديثَ)، وفيه أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصف الفاتحةَ بقوله: («**هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»)، **فالفاتحةُ تُسمَّى السَّبع المثاني لأمرين:**

أحدهما: يتعلَّق بالألفاظ والمباني، فإنَّ بعضَها يتبع بعضًا، ويُثَنَّى بعضُها على بعضٍ متتابعًا.

والآخر: يتعلَّق بالحقائق والمعاني، فقد أثبتَ الله فيها أنواعًا متقابلةً من البيان؛ كمقابلَة الخبر بالإنشاء، في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾ [الفاتحة]، وقولِه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥﴾ [الفاتحة]، ومقابلةِ صفات الجمال بصفات الجلال، فصفاتُ الجمَال في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [الفاتحة]، وصفاتُ الجلال في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣﴾ [الفاتحة]، فلوجود هَٰذِهِ المقابلة بين حقائقها ومعانيها مع ما سلف لوجود هذا المعنى في ألفاظها ومبانيها، وكونها سبع آياتٍ؛ فإنَّها تُسمى السَّبع المثاني.

ووصفها أيضًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقولِه: («**وَالقُرْآنُ العَظِيمُ**»)، وهو وصفٌ للفاتحة في أصحِّ القولين، فتقدير الكلام: (هي المقروء العظيم)، ويقوِّيه أنَّ الفاتحةَ هي أعظم سورةٍ في القرآن الكريم.

ثمَّ ذكر حديث (أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) أنَّه (قال: سمعتُ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ**... الحديثَ)، ففيه من فضل الفاتحة تسميتُها: الصَّلاة، وهو من تسميةِ كلٍّ بجزءٍ منه، فالفاتحة بعض الصَّلاة، وأُعطي هَٰذَا الجزءُ ٱسم كلِّه؛ لجلالة الفاتحة، فهي بمنزلة الصَّلاة كلِّها.

ووقع في هَٰذَا الحديث قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: («**فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤﴾ [الفاتحة]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: هَٰذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي**»)، أي هَٰذَا عهدٌ بيني وبين عبدي، فهٰذا عقدٌ للعهد، وقولُه: («**فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: هَٰذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»)؛ أي: وعدًا، ولعبدي ما سأل وفاءً للوعد.

فسورة الفاتحة جامعةٌ بين العهد والوعد، فهو عهدٌ من العبد أن يكون لربِّه كما يُحبُّ، ووعدٌ من الله لعبده أن يكون له كما يُحبُّ.

وهَٰذَا العهد والوعد هو - في الأصحِّ - المقصود بقول أحدنا في سيِّد الاستغفار: «وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا ٱسْتَطَعْتُ»، فإنَّ المذكورَ فيه يتعلَّق بعهدٍ ووعدٍ متكرِّرٍ، والعهد والوعد المتكرِّر في يومنا وليلتنا ممَّا ٱنتظم في خطاب الشَّرع هو ما يكون في سورة الفاتحة.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أقرأُ القرآن: فمقصود المبسمِل في فاتحة القراءة هو: بسم الله الرَّحْمَٰنِ الرَّحيم أقرأُ.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أقرأُ القرآن: فمقصود المبسمِل في فاتحة القراءة هو: بسم الله الرَّحْمَٰنِ الرَّحيم أقرأُ)، فالجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بفعلٍ محذوفٍ مناسبٍ للمقام، مؤخَّرٍ عن البسملة، فقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يلحقه فعلٌ مقدَّرٌ مناسبٌ للمقام، والواقع هنا ذكر الفاتحة في مقدَّم القراءة، فتكون هي المرادة، فالفعل متعلقٌ بها، فقولُك عند ٱبتداء القرآن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ تقديرُه: بسم الله الرَّحْمَٰنِ الرَّحيم أقرأُ القرآن.



قَالَ المُصَنِّفُ وفقه الله:

والاسم الأحسن (الله) علمٌ على ربِّنا عَزَّوَجَلَّ، ومعناه: المألوه المستحقُّ لإفراده بالعبادة.

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: ٱسمان من أسمائه تعالى، دالَّان على رحمته؛ فأوَّلهما دالٌّ عليها حال تعلُّقها به في سَعتها، والآخر دالٌّ عليها حالَ تعلُّقِها بالخلق في وصولِها إليهم.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفقه الله:

ذكر المصنِّفُ وفَّقهُ اللهُ الفرق بين ٱسمِ (الرَّحْمَٰنِ) و(الرَّحيم)، وهو أنَّ (الرَّحْمَٰنَ) ٱسمٌ لله حالَ تعلُّق صفة الرَّحمة بذاتِه، وأنَّ ٱسمَ (الرَّحيم) ٱسمٌ لله حالَ تعلُّق صفة الرَّحمة بالمرحومين الَّذين وقعت عليهمُ الرَّحمة، فهما ٱسمان يتعلَّقان بصفةٍ واحدةٍ هي الرَّحمة، لَٰكِن مع جهةٍ مختلفةٍ.

فـ(الرَّحْمَٰنُ) يتعلَّق بالرَّحمة باعتبار أنَّ صفة الرَّحمة هي وصفٌ لذاته عَزَّوَجَلَّ يدلُّ على سَعتها، و(الرَّحيم) ٱسمٌ لله يدلُّ على صفة الرَّحمة باعتبار تعلُّقها بمن رحمهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وٱختاره أبو عبد الله بن القيِّم في «بدائع الفوائد» وغيره، وأشرت إلى هَٰذَا بقولي:

وَرَحْمَةٌ للهِ مَهْمَا عُلِّقَتْ ... بِذَاتِهِ فَالِاسْمُ رَحْمَٰنٌ ثَبَتْ

أَوْ عُلِّقَتْ بِخَلْقِهِ الَّذِي رَحِمْ ... فَسَمِّهِ الرَّحِيمَ فَازَ مَنْ سَلِمْ



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه اللّٰه:

وأوَّلُ هَـٰذِهِ السُّورة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، فالحمد هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حُبِّه وتعظيمه، و﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: ٱسمٌ إضافيٌّ، فالرَّبُّ في كلام العرب: المالك، والسَّيِّد، والمصلِح للشَّيء.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه اللّٰه:

قوله: (ٱسمٌ إضافيٌّ)؛ أي من الأسماء الإلٰهيَّة المضافة، **فإنَّ أسماء الله باعتبار الإفراد والإضافة تنقسم قسمين:**

أحدهما: أَسْماءٌ إلٰهيَّةٌ مُفرَدَةٌ؛ مثلُ: اللهِ، والرَّحْمَٰنِ.

والآخر: أسماءٌ إلٰهيَّةٌ مضافةٌ؛ مثل: ربِّ العالمين، ومالك الملك، وعالم الغيب، وعالم الشَّهادة. ذكر هَـٰذَا جماعةٌ؛ منهم: قَوَّام السُّنَّة الأصبهانيُّ في كتاب «الحُجَّة»، وٱبنُ تيميَّةَ في«الفتاوى المِصريَّةِ»، وٱبنُ بازٍ في بَعضِ أَجوِبتِهِ[1].



(١) هَـٰذِهِ المسألة تساوي رحلةً؛ لا أقول لم يذكرها أحدٌ، لَـكِن لأنَّك ربَّما تجد في تقريرات المتكلِّمين في هَـٰذَا الباب من أنكرها، مع أنَّها نصوصُ الأئمَّة ولا يوجد خلافها، فينبغي أن تعرف من هَـٰؤُلَاءِ، هَـٰذَا منفعة تكرار الأصول مرَّةً بعد مرَّةٍ، وأن تسمع شرحَها مرارًا؛ حتَّى يُميتَك الله عَزَّوَجَلَّ، وحتَّى المعلِّمُ لها ينبغي أن يثبُتَ على هَـٰذَا حتَّى يُميتَه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فذكرها من سمَّيْنَا.

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

والعالمين: جمعُ عالَمٍ، وهو اسمٌ للأفراد المتجانسة من المخلوقات، فكلُّ جنسٍ منها يُطلَق عليه عالَمٌ، فيُقال: عالم الإنس، وعالم الجنِّ، وعالم الملائكة.

وربوبيَّتُه عَزَّوَجَلَّ لم تُنتِج ظلمًا؛ بل مضمونها العناية بالخَلْق ورحمتُهم، ولهَذَا وَصَفَ نفسَه بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فهو رحمَنٌ وَسِعَت رحمتُه جميع الخلق، رحيمٌ يُوصِل رحمتَه إليهم.

ثمَّ أكَّد ربوبيَّته بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وهو يوم الحساب والجزاء على الأعمال، الَّذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار]، وهو يوم القيامة، وخصَّه بالذِّكرِ لأنَّه يظهر فيه للخلق كمال مُلك الله تمام الظُّهور؛ لانقطاع أملاك الخلائق؛ وإلَّا فهو مالك يومِ الدِّين وغيره من الأيَّام.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قولُه: (وهو يوم الحساب والجزاء على الأعمال)، الحساب والجزاء حقيقتان متلازمتان، جُعلتا دليلًا على يوم القيامة، فإنَّ الحساب دليلٌ عليه باعتبار مبدئِه، والجزاءَ دليلٌ عليه باعتبار منتهاه.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

وقولـه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ أي: نَخُصُّـك وحـدَك بالعبـادة، ونسـتعين بـكَ وحدَك في جميع أمورنا، وعبادةُ الله: تألُّه القلب له بالحبِّ والخضوع، والمأمور به: فيها ٱمتثال خطاب الشَّرع، والاستعانة به هي: طلبُ العبدِ العونَ منه في الوصول إلى المقصود.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قولُه: (أي: نَخُصُّك وحدَك بالعبادة، ونستعين بكَ وحدَك في جميع أمورنا)، هَٰذِهِ الوحدانيَّة المذكورة في طرفِي الآية: العبادة والاستعانة؛ مُستفادةٌ من تقديم ما حقُّه التَّأخير، فتقدير الجملة: نعبد إيَّاك، ونستعين بك، أو: نعبدُك ونستعين بك، فلمَّا أُريد تقديم الضَّمير، قيل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ لتحصيل المراد المذكور، وهو: إفراده سبحانه بالوحدانيَّة في عبادتنا وٱستعانَتِنَا.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

ثُمَّ قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾؛ أي: دُلَّنا وأَرْشِدنَا إليه، وثَبِّتنا عليه حتَّى نلقاك، وهو الإسلام، ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ المتَّبعين للإسلام الَّذي جاء به النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ﴿ غَيۡرِ ﴾ صراطِ ﴿ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ الَّذين عرفوا الحقَّ ولم يعملوا به، وهمُ اليهود، ومَنْ عدلَ عن الصِّراط المستقيم من هَٰذِهِ الأمَّة عَن عِلْمٍ ففيه شَبَهٌ منهم، ﴿ وَلَا ﴾ صراطِ ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الَّذين تركوا الحقَّ عن جهلٍ فلم يهتدوا وضلُّوا الطَّريقَ، وهمُ النَّصارى، ومَنْ عدلَ عن الصِّراط المستقيم من هَٰذِهِ الأمَّة عَن عِلْمٍ ففيه شَبَهٌ منهم.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

هَٰذِهِ الجملة من البيان فيها إعلامٌ بأنَّ **الخلق بالنِّسبة إلى الصِّراط المستقيم طائفتان:**

الأولى: طائفةٌ سالكةٌ له سائرةٌ عليه، وهمُ المُنعم عليهم من المؤمنين.

والأخرى: طائفةٌ مائلةٌ عنه تاركةٌ له، **وهَٰذِهِ الطائفةُ ينشأ خطأها من أحد موردين:**

الأوَّل: العلم؛ بترك العمل به،

والثَّاني: العمل؛ بابتداع عملٍ بلا علمٍ.

ومِنَ الأوَّلين الَّذين لهم علمٌ ولا عمل لهم: اليهود، ومن الآخرين الَّذين لهم عملٌ بلا علمٍ: النَّصارى، فاليهود عَلِموا ولم يعملوا، والنَّصارى عملوا بلا علمٍ، ثمَّ كلُّ من تشبَّه بهاتين الطَّائفتين من هَٰذِهِ الأمَّة فيما هم فيه من الخطإ؛ أصابه من العدول عن الصِّراط بقدر خطئه، فتارةً يكون خطؤه بترك العمل بالعلم، وتارةً أخرى يكون خطؤه من العمل

بلا علمٍ، قال سفيانُ بن عُيينةَ: «من ترك العمل بالعلم من علمائنا ففيه شبهٌ من اليهود، ومن عمِل من عُبَّادنا بلا علمٍ ففيه شبهٌ من النَّصارى».



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة الضُّحى

عن جُندب بن سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنه قال: ٱشتكى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فجاءتِ ٱمرأةٌ فقالت: يا محمَّدُ؛ إنِّي لأرجو أَن يكون شيطانُك قد تركَكَ، لم أَرَهُ قَرِبَكَ منذ ليلتين أو ثلاثةٍ؛ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾. متَّفقٌ عليه.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا)؛ أي: لم يكن له حظٌّ من قيام اللَّيل فيهما، فانقطع عن دأَبِه بالصَّلاة ليلًا ليلتين أو ثلاثًا؛ للشَّكوى الَّتي ٱعترته – أي: للمرض الَّذي أصابَه وأحاط به.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾ [الضُّحى].

أقسم الله تعالى بالضُّحى، وهو ٱسم ضوء الشَّمس إذا أشرق وٱرتفع، والمراد به هنا النَّهار كلُّه...

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (والمراد به هنا النَّهار كلُّه)، أي: في هٰذِهِ الآية؛ لأنَّه وقع مقابلًا للَّيل، فقال الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

ولفظ (الضُّحى) له في القرآن معنيان:

أحدهما: النَّهار كلُّه؛ إذا وقع مقابلًا اللَّيلَ، ومنه هٰذِهِ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩﴾ [النَّازعات]؛ أي: نهارَها.

والآخر: أوَّل النَّهار؛ إذا لم يقع مقابلًا اللَّيلَ، ووقع مقابلًا العشيَّةَ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ [النَّازعات]، فـ(الضُّحى) المقابل للعشيَّة هنا هو: أوَّل النَّهار، والعشيَّةُ: آخِرُه.

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

... وباللَّيل إذا سكن بالخلق وثبت ظلَامه = على اعتنائه برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال جوابًا للقسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾؛ أي: ما تركك ربُّك، وما أبغضك بإبطاء الوحي وتَأخُّرِه عنك.

وهَٰذَا له من ربِّه في الدُّنيا؛ ثمَّ بشَّره بما له في الآخرة فقال: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾، فللدَّار الآخرة خيرٌ لك من دار الدُّنيا، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من مظاهر الإنعام ومقامات الإكرام في الآخرة ﴿فَتَرْضَىٰ﴾، وإلى هنا تمَّ جواب القسم بمُثْبَتَيْنِ بعد مَنْفِيَّيْنِ.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (وإلى هنا تمَّ جواب القسم بمُثْبَتَيْنِ بعد مَنْفِيَّيْنِ)؛ أي: بأمرين أُثبتا بعد أمرين نُفِيَا.

فأمَّا المنفيَّان:

فالأوَّلُ: قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ما تركك.

والآخر: في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾؛ أي: وما أبغضك.

وأمَّا المثبتان:

فالأوَّل: في قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾.

والآخر: في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾.

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه اللّٰه:

ثـمَّ شرع يُـذَكِّره بـما ٱمتنَّ بـه عليـه في الـدُّنيا فقـال: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ﴾ ٱستفهامَ تقريـرٍ؛ أي: وجدَك ﴿يَتِيـمٗا﴾ لا أمَّ لك ولا أبَ؛ بل مات أبوه وهو حمْلٌ، وماتت أمُّه وهو صغيرٌ لا يقْدِرُ على القيام بمصـالح نفسـه، ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ بـأن ضـمَّك إلى مَـنْ يكفلُك، وجعـل لـك مأوًى تأوي إليه، فكفَّلَه جدَّه عبدَ المطَّلبِ، ثـمَّ لـمَّا مات كفَّله عمَّه أبا طالبٍ، حتَّى أيَّده بنصره وبالمؤمنين.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه اللّٰه:

قولُه: (فقال: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ﴾ ٱستفهامَ تقريرٍ)؛ وهو: الاستفهام المطلوبُ إثباتُ المعنَى المذكورِ معه.

ويقابله: الاستفهام الاستنكاري؛ وهو: الاستفهام المطلوبُ إنكارُ المعنى الَّذي معه.

فإذا كان ٱستفهامًا تقريريًّا فهو للإثبات، وإذا كان ٱستفهامًا ٱستنكاريًّا فهو للنَّفي.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ﴿ فَهَدَىٰ ﴾: فدَلَّك وأرشدك، وأنزل عليك الكتاب والحكمة، وعلَّمك ما لم تكن تعلم.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان)، فالضَّلال الَّذي وُجِدَ عليه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المذكور في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ [الشُّورى: ٥٢]؛ أي: غافلًا عمَّا يُراد بك من الرِّسالة، وهو أولى ما بُين به هَٰذَا الضَّلال.

فإنَّ أولى تفسير القرآنِ: أن يكون بالقرآن، ولاسيَّما إذا ٱقترن به ما يتعلَّق بإرسال القول في أمرٍ يمَسُّ مقامًا محذورًا على الخلق، وهو مقام النُّبوَّة؛ فإنَّ توسيع الكلام في التَّعبير عن أفراد الضَّلال الذي وُجد عليها لنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربَّما وَلَّدَ في نفس المتكلِّم خطأً على مقام النُّبوَّة، فلا بيانَ أكملُ من بيان الله فيما يتعلَّق بنفسِه سبحانه، ولا برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه اللّٰه:

قوله: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا ﴾ فقيرًا؛ ﴿ فَأَغْنَىٰ ﴾ بما ساق إليك من الرِّزق، وقنَّعك به.



قَالَ الشَّارح وفَّقه اللّٰه:

قوله: (بما ساق إليك من الرِّزق، وقنَّعك به)؛ فيه بيان ما يحصل به الغنى التَّامُّ، وأنَّه مركَّبٌ من شيئين:

أحدهما: رزقٌ يُحصِّل به العبد مصالحه.

والآخر: قناعةٌ تقطع عن قلبه الطَّمعَ فيما سواه.

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

ومَنْ آواك وهداك وأغناك فحقُّه مُقَابلة نعمته بالشُّكر؛ ومنه ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾؛ أي: لا تغلِبْهُ مُسيئًا معاملَتَهُ، ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ عن دينٍ أو دنيا ﴿فَلَا تَنۡهَرۡ﴾؛ أي تزجر؛ بل ٱقضِ حاجَتَه أو رُدَّه برفقٍ، ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ مُخبِرًا عنها، فإنَّ التَّحدُّث بنعمة الله داعٍ لشُكرِها، وسببٌ في محبَّة القلوب لِمَنْ أسداها، فإنَّ القلوبَ مجبولةٌ على محبَّة المحسِن إليها.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة الشَّرح

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾.

يقول الله تعالى - ممتنًّا على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ استفهامَ تقريرٍ؛ أي شرحنا صَدْرَكَ للإسلام، وهو ناشئٌ عن شرح صدره الحسِّيِّ، الَّذي وقع مرَّتين:

أولاهما: في صِغَره لـمَّا كان مسترضَعًا في بني سعدٍ.

والثَّانية: ليلةَ أُسري به في مكَّة بين يدي الإسراء.

رواهما مسلمٌ، ووافقه البخاريُّ في الثَّانية.

***

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ذكر المصنِّف وفقه الله في هَٰذِهِ الجملة ما يبيِّن ما وقع للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شَرْحِ صدره، فإنَّ **شرح صدر النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوعان:**

فالنَّوع الأوَّل: الشَّرح الجِسمانيُّ، ومحلُّه جسد النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فشُقَّ صدره الشَّريف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّتين:**

أولاهما: في صِغره لـمَّا كان مسترضعًا في بني سعدٍ.

والأخرى: في كِبره ليلةَ أُسري به إلى بيت المقدس؛ أي: ليلة الإسراء والمعراج.

والنَّـوع الثَّـاني: شرحٌ رَوْحـانيٌّ، ومحلُّـه روح النَّبـيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بـما حُشـي بـه قلبُـه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مـن الحقـائق الإيمانيَّـة، والكـمالات الدينيَّـة، ، فشَـرح الله صـدر النَّبـيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للإسلام والدِّين الحقِّ، فأوْرثه خيرًا له وللنَّاس بعده في الدُّنيا والآخرة.

والشَّرح الجِسمانيُّ توطئة الشَّرح الرَّوحانيِّ؛ فإنَّ الملكينِ - جبريلَ ومن معه - لـمَّا شقَّا صدره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ٱستخرجا من قلبه قطعةً هي حظُّ الشَّيطان منه، ثمَّ حَشَيَا قلبَه ليلةَ الإسراء بما حشياه من العلم والإيمان.

وفي حديث النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لـمَّا شُقَّ صدرُه ليلة الإسراء وهو في مكَّةَ قبل ذهابه أنَّ قلبَه غُسِل بماء زمزم، وهَٰذَا أصلٌ لطيفٌ في بيان التبرُّك بماء زمزم على وجه الغَسْلِ، ولا أعرفه جاء في شيءٍ من الأحاديث الصَّحيحة إلَّا في هَٰذِهِ الأحاديث.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

﴿ وَوَضَعۡنَا ﴾؛ أي حَطَطنا ﴿ عَنكَ وِزۡرَكَ ﴾ وهو الذَّنب، ﴿ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ﴾؛ أي أثقل ﴿ ظَهۡرَكَ ﴾.

﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ فأعلينا قدْرَك، وجعلْنَا لك الثَّناءَ الحَسَن؛ بما أشاع الله من محاسنِ ذِكْرِه بين النَّاس، وبما نزَّل من القرآن ثناءً عليه وكرامةً له، وبإلهام النَّاس التَّحدُّث بما جَبَلَهُ الله عليه من المَحَامِد في أوَّل نشأته، ومن أعظم ذَٰلِكَ أنَّ الله قَرَن ذِكْره بذِكْره في الشَّهادتين، وله في قلوب أُمَّته من المحبَّة والتَّعظيم بعد الله تعالى ما ليس لأحدٍ سواه.

وقوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ ﴾ وهو الشِّدَّة ﴿ يُسۡرًا ﴾؛ أي سهولةً، والفَاءُ فيه فصيحةٌ، تُفصح عن كلامٍ مُقدَّرٍ يدلُّ عليه الاستفهام التَّقريريُّ هنا؛ أي إذا علمت هَٰذَا وتقرَّر؛ فاعلم أنَّ اليُسْرَ مصاحبٌ للعسرِ، فالعسرُ الَّذي عهدتَّه وعلمتَه سيجعله الله يُسرًا، والتَّنكير للتَّعظيم، وفي تكرارها بقوله: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾ تأكيدٌ لتحقيق ٱطِّراد هَٰذَا الوعد وعمومه.

ثمَّ أمر الله رسولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بشُكرِه، والقيام بواجب نِعَمِه،فقال: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴾؛ أي إذَا فرغتَ من عملٍ بإتمامه فأقبل على عملٍ آخر؛ لتعمرَ أوقاتك كلَّها بالأعمال الصَّالحة، ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ فأَعْظِم الرَّغبة إليه في مرادَاتِك مُقبِلًا عليه.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة التِّين

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾.

أقسم الله بالشَّجرتين المعروفتين التِّينِ والزَّيتونِ فقال: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴾، مُريدًا منَابِتَهُما وهي أرض الشَّام، ثمَّ أقسم بجبل سيناءَ فقال: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾، وهو الجبل الَّذي كلَّم الله فيه موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، و﴿ سِينِينَ ﴾ لغةٌ في سِيناءَ، وهي صحراءُ بين مصرَ وبلاد فلسطينَ، ثمَّ أقسم أخرى فقال: ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾ وهو مكة المكرمة لِأَمْنِ النَّاس فيها، والإشارة إليه للتَّعظيم، ولأنَّ نزول السُّورة واقعٌ فيه، وهَٰذِهِ المواضعُ هي مواطن أكثر الأنبياء، فهي أرضُ النُّبوَّات ومَهْبِط الرِّسالات.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ذكر المصنِّف وفَّقه الله في فاتحة بيانه معاني هَٰذِهِ السُّورة أنَّ الله أقسم (بالشَّجرتين المعروفتين التِّينِ والزَّيتونِ) (مُريدًا منَابِتَهُما وهي أرض الشَّام)، والدَّالُّ على إرادة منابتهما؛ سياقُ الآيات، فإنَّ المذكور في الآية الثَّانية موضعٌ، والمذكور في الآية الثَّالثة موضعٌ،

فيكون ذِكْرُ الشَّجرتين مقرونتين للإعلام بموضعهما الَّذي هو بالمحلِّ الأعلى، فإن وُجِد في غيره فهُما في رتبةٍ دون ما تكون عليه هاتان الشَّجرتان في تلك الأرض، وهي أرض الشَّام، فانتظم في صدر السُّورة ذكر ثلاثة مواضعَ، هي موضع أكثر نبوَّات الأنبياء.

ولا يُقال فيها: أرض النُّبوَّات - دون غيرها -؛ لأنَّ مِن الأنبياء من كان في غير هَٰذِهِ البلاد؛ كإبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنَّه كان بـ(بابلَ) من جهة العراق.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

ثمَّ ذكر جواب القسم في قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾، فسوَّاه الله وعدَلَه، وفَطَرَهُ على توحيده، ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ في نار جهنَّمَ إن كفرَ؛...

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ في نار جهنَّمَ إن كفرَ)؛ بيانُ أنَّ معنى الرَّدِّ في الآية هو جعله في نار جهنَّمَ إن كفر؛ يدلُّ عليه مقابلة الامتنان في قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾؛ أي أنَّ الإنسان مخلوقٌ في أحسن تكوينٍ، فإنْ عَدَلَ عن التَّقويم الأحسن فإنَّ الله يُعاقبه بالجزاء الأسفل، وهو الرَّدُّ إلى أسفل سافلين في نار جهنَّم.

فالحاملُ على تفسير الرَّدِّ إلى أسفل سافلين على أنَّه على معنى إدخاله النَّار إنْ كفرَ؛ هو ملاحظة المقابلة بين ما ٱمتنَّ به الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وما يُعاقبه به إن أعرض عنه.

والتَّقويم الأحسن الذي خُلق عليه الإنسان نوعان:

أحدهما: التَّقويم الأحسن له في صورته الظَّاهرة، بما جُعِل عليه من صورةٍ في خلقته.

والآخر: التَّقويم الأحسن في صورته الباطنة، بما جُعل عليه من الفطرة، وهي موافقةُ فطرتِه دينَ الإسلام.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

... ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فإنَّهم لا يُرَدُّون إليها؛ بل جزاؤُهم ما أخبر عنه بقوله: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾؛ أي لهم أجرٌ لا يَشُوبُه كَدَرُ المَنِّ، ولا يلحقه الانقطاعُ، وذَٰلِكَ في جنَّات النَّعيم، ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ وهو الحساب والجزاء على الأعمال، فأيُّ شيء يجعلك - أيُّها الإنسان - مُكَذِّبًا بما جاءت به الرُّسل من الشَّرائع والمناهج، وما بشَّرَتْ به وأنْذَرَتْ مِنَ الجزاء بالجنَّة والنَّار، وأنتَ قد خُلِقت في أحسن تقويمٍ، ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ في الفصل والقضاء بين عبادِه مَنْ آمَنَ منهم ومَنْ كفر؟!

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قال المصنِّف في تفسير قوله تعالى: (﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾؛ أي لهم أجرٌ لا يَشُوبُه كَدَرُ المَنِّ)، كيف يأتلف هَٰذَا مع أنَّ الله من أسمائه: المنَّان؟

جوابه: **أنَّ المَنَّ بالنعمة نوعان:**

أحدهما: المَنُّ لإظهارها تفضُّلًا، ودعوةِ العبد لشكرها، وهَٰذَا يكون من الله، فهو الَّذي يتفضَّل، وهو الَّذي يستحقُّ الشُّكر.

والآخر: المَنُّ بها للاستعلاء بها على الخلق، وهَٰذَا الَّذي يكون من الخلق مع الخلق، ويكون فيه الكَدَر.

مثلًا: لو أنَّ أحدًا أتى الدَّرسَ، ولـمَّا أراد أن يكتب فإذا ليس معه قلمٌ، فالتمس قلمًا فأعطاه صاحبٌ إزاءه قلمًا يكتب به الدَّرسَ، فلمَّا ٱنقضى من كتابته ردَّه إليه فأخذه، ثمَّ بعد مدَّةٍ لقيه، فقال: ألا تذكر أنِّي أعطيتك قلمًا تكتب به؟!، ثمَّ بعد ذَٰلِكَ يذكر هَٰذِهِ النِّعمة

مرَّةً بعد مرَّةٍ، مع قلة هَٰذِهِ النِّعمة – أنَّه كتب وردَّ إليه القلم –، فيكون فيها كدرٌ وغُصَّةٌ على من تُذكر له هَٰذِهِ النِّعمة.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة العلق

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩ ۝١٩﴾.

صدْرُ هَٰذِهِ السُّورة إلى قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ هو أوَّلُ القرآن نزولًا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ وكان ذَٰلِكَ في غارِ جبلِ حراءٍ بمكَّةَ، فإنَّه كان يتعبَّدُ فيه اللَّياليَ ذواتِ العَدَدِ، فجاءه جبريلُ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال له: ٱقرَأْ، فقال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، فأخذه فغطَّهُ حتَّى بلَغ منهُ الجَهْدَ ثمَّ أرسَلَهُ، فقال: ٱقرَأْ، فقال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، فأخذه فغطَّهُ الثَّانية حتَّى بلَغَ منهُ الجَهْدَ ثمَّ أرْسَلَهُ، فقال: ٱقرَأْ، فقال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، فأخذه فغطَّهُ الثَّالثة حتَّى بلَغَ منهُ الجَهْدَ ثمَّ أرْسَلَهُ، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾. ثبت هَٰذَا في «الصَّحيحين» من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا.

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قولُه: (وكان ذَٰلِكَ في غارِ جبلِ حراءٍ بمكَّةَ)؛ مُعلِمٌ بأنَّ ٱسم الجبل هو: (جبل حراءٍ)، وأنَّ (الغارَ) يُضاف إليه، فقولهم: (غارُ حراءٍ)؛ على تقدير محذوفٍ، فأصله: (غارُ جبلِ حراءٍ).

وأمَّا جعلُ ٱسمِ الجبل (جبلَ النُّور)، وٱسمِ الغار (غار حراءٍ) فغلطٌ محضٌ، فإنَّ (حراءً) ٱسمٌ للجبل كلِّه، وتسميتُه بـ(جبل النُّور) تسميةٌ حادثةٌ، وجعلُ الغارِ مخصوصًا باسم (حراءٍ) أحدَثُ وأحدَثُ، فهي ممَّا غلب عند المتأخِّرين، وكلاهما غلطٌ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

فأمَره في فاتحتها أن يقرأَ مستعينًا بالله، مستصحبًا الفهمَ وملاحظةَ جلَالِه، مأذونًا له، وقيل له: ﴿اقْـرَأْ اقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ أي خلق الخلق جـميعًا، ومنهمُ الإنسـان، فإنَّه ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾، والعَلَقَةُ هي القطعة من الدَّم الغليظِ، وذِكْرُ خَلْق الإنسان بعد الأمر بالقراءة: إشارةٌ إلى الأمر بالعبادة، فمَنْ خلق الإنسانَ لم يكن ليتركه سُدًى؛ بل سيأمره وينهاه، وذَٰلِكَ بإرسال الرُّسل، وإنزال الكتب.

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

في هَٰذِهِ الآية قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾، والَّذي يكثُرُ ذكره في القرآن هو العلقة، والأصل في الإنسان أنَّه مخلوقٌ من علقةٍ، وجُمِعت العلقة باعتبار جنس الإنسان المناسب للامتنان عليه في سورة العلق ، فإنَّ فاتحة سورة العلق هي لإظهار منَّة الله على خلقه، **والمنَّة** هي: النِّعمة العظيمة.



قَالَ المُصَنِّفُ وفقه الله:

ثـمَّ قال: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ المتَّصف بغاية الكرم، ومن كرمه عَزَّوَجَلَّ أنَّه هو ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾؛ فـإنَّ الله أخرجَـهُ مـن بطـن أمِّـه لا يعلـم شـيئًا، وجعـلَ لـه السَّمع والبصَر والفؤادَ، فعلم ما لم يكنْ يعلَمُه مِنْ قبلُ، ومن أعظمِ أسباب عِلمِه تعليمُه القلمَ، وهو الخَطُّ والكتابةُ.

ولَـكِنَّ الإنسان الظَّلُومَ الجَهُــول يطغى متجاوزًا حدَّه، ويُعرِض عمَّا أُمر به ونُهـي عنه إذا رأى نفسه غنــيًّا بما أنعم الله عليه، قــال الله تـعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ ﴾.

ثـمَّ تهـدَّدَهُ وتوعَّـدَهُ فقال: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴾؛ أي إلى الله المصير والمرجِعُ، وسيُجازي كلَّ إنسانٍ بعَمَلِه.

ومن جنسِ الإنسان مَنْ تسوءُ حالُه فيُعارض الأمر والنَّهي فوقَ إعراضِه عنه، كمَنْ ينهى عن الصَّلاة الَّتي هي من أفضل الأعمال، المذكور في قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِى يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾، فتوعَّـده الله بقولـه: ﴿ أَرَءَيۡتَ ﴾ أيُّها النَّـاهي ﴿ إِن كَانَ ﴾ العبـد المصلِّـي ﴿ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ ﴾ غيـرَه ﴿ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴾، أيستقيمُ أن يُنهى مَن هَٰذا وَصْفه؟!، أرأيتَ أعْجَبَ من طغيان هَٰذَا النَّاهي؟!

﴿ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ ﴾ النَّـاهي بـالحقِّ، ﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ فـأعرض عـن الأمـر والنَّهـي، ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ عمله؟، فهو مُطَّلِعٌ عليه مُحيطٌ به!، أفلا يخافُ اللهَ ويخشى عقابه؟!

ولئن لم ينزجر بالوعيد؛ فَلْيَسَعْهُ التَّهديد إنِ ٱستمرَّ على حاله: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ ﴾ عمَّا يقولُ ويفعـلُ ﴿ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾؛ أي لنأخـذنَّ بناصـيتِه – وهـي مُقـدَّمُ شـعرهِ – أخـذًا عنيفًا،

فالسَّفع: القبض الشَّديد بجَذْبٍ، واستحقَّته ناصيتُه لاتِّصافها بوصفين هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾، فهي كاذبةٌ في قولها، خاطئةٌ في فِعْلها، ﴿ فَلْيَدْعُ ﴾ هٰذا الأثيمُ ﴿ نَادِيَهُۥ ﴾ وهم أهل مجلسه؛ فإنَّنا ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ وهم ملائكة العذاب، ليأخذوه ويعاقبوه، سُمُّوا زبانيةً لأنَّهم يَزْبُنُون أهل النَّار؛ أي يدفعونهم بشدَّةٍ.

والآيات السَّابقة نزلت في شأن أبي جهلٍ حين نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصَّلاة وتهدَّدَهُ، روى التِّرمذي والنَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلِّي عند المَقام، فمرَّ به أبو جهلٍ بن هشام فقال: يا محمَّدُ؛ ألم أَنْهَكَ عن هٰذا؟!، وتوعَّدَهُ، فأغلظ له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانْتهره، فقال: يا محمَّدُ؛ بأيِّ شيءٍ تهدِّدني؟!، أما والله إنِّي لأكثر هٰذا الوادي ناديًا؛ فأنزل الله: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ (١٧) سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾، وقال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لو دَعَا ناديَه لأخذَتْهُ ملائكة العذاب من ساعَتِه. وأصله في البخاريِّ مختصرًا.

ولـمَّا فَرَغ من وعيد النَّاهي وتهديده أتبعه بأمر المنهيِّ - وهو العبدُ المصلِّي - ألَّا يطيعَ ناهيَه، فقال: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ فيما نهاك عنه، ثمَّ أمره بما فيه فلاحه فقال: ﴿ وَٱسْجُدْ ﴾ لربِّك ﴿ وَٱقْتَرِب ﴾ منه بالصَّلاة؛ فإنَّ العبدَ أقربُ ما يكونُ من ربِّه وهو ساجدٌ، ففي «صحيح مسلمٍ» عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**».



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة القدر

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾.

يخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ في هَٰذِهِ السُّورة عن إنزال القرآن، فيقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي القرآنَ جُملةً واحدةً، من اللَّوح المحفوظ إلى السَّماء الدُّنيا، وفي إسنادِ الإنزالِ إلى الله تشريفٌ عظيمٌ للقرآن.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (فيقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي القرآنَ جُملةً واحدةً، من اللَّوح المحفوظ إلى السَّماء الدُّنيا)؛ فيه إعلامٌ بأنَّ الإنزال المذكور في هَٰذِهِ السُّورة ليس هو إنزالُ القرآن على النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بل إنزالُه من اللَّوح المحفوظ إلى السَّماء الدُّنيا، فإنَّ **إنزال القرآن نوعان:**

أحدهما: إنزال كتابةٍ، من اللَّوح المحفوظ إلى السَّماء الدُّنيا.

والآخر: إنزال تكلُّمٍ، وهو إنزالُه على النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مفرَّقًا حسب الحوادث والوقائع.

والمذكور منهما في هَٰذِهِ السُّورة هو الأوَّل، وسيأتي حديث ٱبن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا موقوفًا في ذَٰلِكَ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

﴿فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أي الشَّرَفِ العظيم، وهو ٱسمٌ جعَلَه الله للَّيلة الَّتي أنزلَ فيها القرآن، ولم تكن معروفةً عند المسلمين، فذكرها بهٰذَا الاسم تشويقًا لمعرفتها، ولذٰلِكَ أتبعَه بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾، فاسْتَفْهَمَ عنها تفخيمًا لشأنها، وتعظيمًا لمقدارها.

قال ٱبن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أُنزل القرآن جملةً إلى السَّماء الدُّنيا في ليلة القدرِ، ثمَّ أُنزل بعد ذٰلِكَ في عشرين سنةً، قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ [الفرقان]، وقرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء]. رواه النَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى»، وإسناده صحيحٌ.

وهي ليلةٌ مباركة من ليالي رمضان؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣]، وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]، وسُمِّيت ليلةَ القدر لِشَرفها، ولأنَّه يُقدَّر فيها ما يكون بعدها من المقادير كالآجال والأرزاق.

وفي تشريف زمانِ إنزاله تشريفٌ ثانٍ للقرآن يُظهر عُلُوَّ قدرِه عند الله تعالى.

***

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ذكر المصنِّف في تفسير هَٰذِهِ السُّورة أنَّ **تعظيم القرآن وقع فيها من جهتين:**

الأولى: إسنادُ إنزاله إلى الله في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، فالمنزِلُ له هو القرآن الكريم.

والأخرى: في تشريفه بالإنزال في زمنٍ معظَّمٍ، هو ليلة القدر، في قوله تعالى: ﴿فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

ثـمَّ أخـبر الله عـن فضـلها بقولـه: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، فالقيـام فيهـا إيمانًـا وٱحتسابًا خيرٌ من عمَلِ ألْفِ شهرٍ ليس فيها ليلةُ القدرِ، ومجموعُ مدَّتها: ثلاثٌ وثمانونَ سنةً وأربعةُ أشهرٍ.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (فالقيام فيها إيمانًا وٱحتسابًا خيرٌ من عمَلِ ألْفِ شهرٍ ليس فيها ليلةُ القدرِ)؛

يشتمل على تنبيهين:

أحدهما: أنَّ الخَيْريَّة بين تلك اللَّيلة وبين ألف شهرٍ هو مع شهورٍ ليست فيها ليلة القدر.

والآخر: أنَّ العمل الَّذي عُلِّقت به خيريَّتُها، هو القيام فيها إيمانًا وٱحتسابًا؛ أي: صلاة اللَّيل فيها.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

وتلك اللَّيلة هي في رمضانَ، وفي العشر الأواخر منه، وأرجَاها: أَوْتَارُها، وهي باقيةٌ في كلِّ سنةٍ إلى قيام السَّاعة.

ثمَّ ذكر الله فضلًا آخرَ لها في قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من السَّماء، ﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ أي في تلك اللَّيلة، والرُّوح هو جبريلُ، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي بأمره ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قضاه الله في تلك السَّنة إلى السَّنة الَّتي بعدها، وتلك اللَّيلة ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي سلامةٌ، والسَّلامة تشمل كلَّ خيرٍ يتَّصل ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾، فمُبتدؤها: غروب الشَّمس، ومنتهاها: طلوع الفجر، وفي التَّعريف بمنتهاها حَثٌّ على ٱغتنام فضْلِها قبل ٱنتهاء وقتها.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة البيِّنة

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾.

كان كفَّار أهل الكتاب يقولون: سيُبعث فينا رسولٌ، وكان المشركون يقولون لهم إذا دعوهم إلى اتِّباع اليهوديَّة أو النَّصرانيَّة: لم يأتنا رسولٌ كما أتاكم، فأخبر الله في هَٰذِهِ السُّورة عن قولهم مُوبِّخًا، فقال: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ عن كُفْرِهم، أي زائلين عمَّا هم عليه، تاركين له، ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ وهي الحُجَّة الواضحة الَّتي وُعد بها اليهود والنَّصارى في كُتبهم، وتلقَّفها عنهم المشركون، ثمَّ فسَّر تلك البيِّنة فقال: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾ وهو محمَّدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، الَّذي يتلو ما هو مكتوبٌ في صُحفٍ مطهَّرةٍ، منزَّهةٍ عن كلِّ ما لا يليق،

وهي صحفُ الكتابِ المكنونِ في اللَّوح المحفوظ، ومَتْلُوُّ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها هو القرآن الكريم.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ذكر المصنِّف وفَّقه الله أنَّ الصُّحف المطهَّرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾ هي صحف اللَّوح المحفوظ، فإنَّها الموصوفة بذَٰلِكَ في خطاب الشَّرع، وغيرها يُسمَّى صحفًا طاهرةً.

وتلاوتُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فيها باعتبار ما أُنزل عليه من القرآن الكريم، فإنَّ القرآن الكريم مثبتٌ في صحف اللَّوح المحفوظ، ثمَّ أُنزل على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان متلوُّه من الصُّحف المطهَّرة هو القرآن الكريم.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه اللّه:

وتلك الصُّحف ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي مستقيمةٌ، وهي الكتب الَّتي أنزلها الله مع النَّبيِّين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

ثمَّ أخبر عن سبب كفر أهل الكتاب فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾، وهَٰذِهِ البيِّنة هي بيِّنةٌ أخرى غير الأولى؛ فالبيِّنة هنا: الحجج والآيات الَّتي جاءتهم من قبلُ، فاختلفوا فيها وتفرَّقوا عنها، فهي كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عمران].

ولم يأمرهم هَٰذَا الرَّسول إلَّا بما أُمِروا به من قبلُ في كتبهم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي قاصدين بعبادتهم وجْهَهُ، فالإخلاصُ هو تصفية القلب من إرادة غير الله، ﴿حُنَفَآءَ﴾ مُقبلين على الله مائلين عمَّا سواه، ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وخصَّهما بالذِّكر لفضلهما وشرفهما.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ المأمور به - من إخلاص الدِّين وإقامةِ الصَّلاة وأداءِ الزَّكاة - هو ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾؛ أي دين الكتب المستقيمة، وهو الإسلام، فلا عُذر لهم في الإعراض عنه.

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (فالإخلاصُ هو تصفية القلب من إرادة غير الله)؛ أي: في حقيقته الشَّرعيَّة، فالإخلاص شرعًا: تصفية القلب من إرادة غير الله، وقلتُ في ضبطه:

إِخْلَاصُنَا للهِ صَفُّ القَلْبَ مِنْ … إِرَادَةٍ سِوَاهُ فَاحْذَرْ يَا فَطِنْ



قَالَ المُصَنِّفُ وفقه الله:

ثمَّ ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهمُ البيِّنة، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾، والبريَّة: الخليقة.

وأتبعه بذكر جزاء مُقابلِهم؛ فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾؛ أي جنَّاتُ إقامةٍ، لا يتحوَّلون عنها، ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾؛ أي من تحت أشجارها وغرفها، على وجه أرضِها في غير شقٍّ، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾، فرضي عنهم بما عملوا من طاعته، ورضوا عنه بما أثابهم به من النَّعيم المقيم، وإنَّ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الجزاء الحسن حقٌّ ﴿ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾، فلا يناله إلَّا مَنْ كانت هَٰذِهِ صفتُه، والخشيةُ خوفٌ مقرونٌ بعلمٍ.

قَالَ الشَّارح وفقه الله:

قوله: في صفة أنهار الجنَّة (على وجه أرضِها في غير شقٍّ)؛ أي: في غير حَفْرٍ ولا أُخدودٍ، فأنهار الجنَّة ليست كأنهار الدُّنيا، فأنها الدُّنيا يجري ماؤها في شقٍّ وحَفْرٍ، وأمَّا أنهار الجنَّةِ فإنَّها تجري على وجه الأرض بلا أخدودٍ، وهَٰذَا هو التَّفسير المعروف عن التَّابعين، ولا يُعرف عمَّن قبلهم، فيُعوَّل عليه ولا يُعوَّل على غيره؛ لأنَّ التَّابعين أخذوا معاني القرآن الكريم - كما تقدَّم في «مقدمة أصول التَّفسير» - عن الصَّحابة، فإذا أجمعوا على شيءٍ كان حُجَّةً، ومنه هَٰذَا الموضع.

ويُقوِّيه حديث أنسٍ في «مسند أحمدَ» بإسنادٍ صحيحٍ؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا ذكر نهر الكوثر قال: **«فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي وَلَمْ يُشَقَّ شَقًّا»**، والكوثر أمُّ أنهار الجنَّة، فسائر أنهار الجنَّة تابعةٌ له في وصفه.



قَالَ المُصَنِّفُ وفقه الله:

تفسير
سورة الزَّلزلة

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: نزلتْ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، وأبو بكرٍ الصِّديقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاعدٌ، فبكى أبو بكرٍ، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟!**»، فقال: أبكتني هَٰذِهِ السُّورة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ لَا تُخْطِئُونَ وَلَا تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللهُ تَعَالَى أُمَّةً مِنْ بَعْدِكُمْ يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ؛ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**». رواه الطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير»، وإسناده حسنٌ.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

ذكر الله تعالى ٱبتداء حال الأرض يوم القيامةِ، فقال: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾، فرُجَّت رجًّا شديدًا، ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ وهو مَا تثقل به ممَّا في بطنها، فألقته على ظهرها؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾﴾ [الانشقاق]، ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ مُستعظِمًا حالها: ﴿مَا لَهَا﴾؛ أي: ما الَّذي حدث لها؟، وما عاقبته؟، ولا تكون زلزلتُها كلِّها إلَّا يوم القيامة.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (ولا تكون زلزلتُها كلِّها إلَّا يوم القيامة)؛ أي: لا يحدث فيها زلزلةٌ تعمُّ الأرض كلَّها سوى زلزلةٍ واحدةٍ هي الزَّلزلة الَّتي تكون يوم القيامة، **فالزَّلزلة الَّتي تنتاب الأرض نوعان:**

أحدهما: زلزلةٌ تتقيَّض بناحيةٍ من نواحيها، فتكون في جهةٍ دون أخرى، وهي كلُّ زلزلةٍ قبل يوم القيامة.

والآخر: زلزلةٌ تعمُّ الأرض كلَّها، وهي الزَّلزلة الَّتي تكون يوم القيامة فقط.

فالزَّلازل الَّتي قبل يوم القيامة خاصَّةٌ، والزَّلزلة التي تكون يوم القيامة عامَّةٌ.

والصِّلة بينهما أنَّ الزَّلازل الخاصَّة مقدمةٌ للزلازل الكبرى، ولذَٰلِكَ ثبت في الأحاديث أنَّ من علامات يوم القيامة: كثرة الزَّلازل.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الأرض ﴿أَخْبَارَهَا﴾ فتُخبِر بما عُمِل على ظهرها من خيرٍ وشَرٍّ، ذَٰلِكَ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي: أَمَرَها أن تُخبر به، فلا تعصي أمره.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ يُقبِلون إلى الموقف والحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾؛ أي أصنافًا متفرِّقين، ومقصودُ صرْفِهم: ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ فيُريَهم الله ما عملوا من الحسنات والسِّيئات، ويجازيهم عليها، فلِمُحْسِنِهمُ النَّعيم المقيم، ولمسيئِهِمُ العذاب الأليم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وهي النَّملة الصَّغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾؛ أي يَرَهُ وَيَرَ ثوابَه في الآخرة، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾؛ أي يَرَهُ ويرَ عقابه فيها.

وروى النَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» عن صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدمتُ على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمعتُه يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، قال: «**مَا أُبَالِي أَلَّا أَسْمَعَ غَيْرَهَا، حَسْبِي حَسْبِي**»، وإسناده صحيح.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ذكر المصنِّف وفقه الله في تفسير الفعل يره في الآيتين قولَه: (يَرَهُ وَيَرَ ثوابَه في الآخرة)، وقولَه: (يَرَهُ ويرَ عقابه فيها)، وهو معْلِمٌ بأنَّ **الرُّؤية تشمل أمرين:**

أحدهما: رؤية العبدِ عملَه.

والآخر: رؤيتُه جزاءَ عملِه.

فيرى العبد عمله فيما كُتِب في الصُّحف، ثمَّ يرى جزاءه باديًا له من نعيمٍ أو عذابٍ مقيمٍ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة العاديات

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾.

أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل الجاريات في سبيل الله، فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾؛ أي العاديات عَدْوًا بليغًا قويًّا، يصدُرُ عنه الضَّبْحُ، وهو صوت نَفَسِها في جَوْفِها عند ٱشتدَادِ عَدْوِها، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾: الموقداتِ بحوافرهنَّ ما يَطَأْنَ عليه من الأحجار ﴿قَدْحًا﴾، فتقدحُ النَّارُ ويتوقَّد شَرَرُها من ضرب حوافرهنَّ إذا عَدَوْنَ، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾: المباغتاتِ الأعداءَ بما يُكره ﴿صُبْحًا﴾ فإنَّهم كانوا لا يُغِيرون على القوم إذا غَزَوْا إلَّا بعد الفجر، فتكون الغارة صباحًا، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾ أي هَيَّجْن وأصْعَدْن بِعَدْوهنَّ وغارَتِهنَّ ﴿نَقْعًا﴾ وهو الغبار، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أي توسَّطن براكبهنَّ ﴿جَمْعًا﴾، وهمُ الأعداء الَّذين أُغِيرَ عليهم.

والقَسَمُ بالخيل على تلك الأوصاف لأجل التَّهويل، وترويع المشركين بما أُعِدَّ لهم من الجهاد وآلته.

وجواب القسَم هو قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾؛ أي: لكفورٌ لِنعمة ربِّه، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ الكُفر ﴿لَشَهِيدٌ﴾ في فلَتَاتِ أقواله وأفعاله، فيبدو منه على لسانه وفي تصرُّفاته ما يتضمَّن الشَّهادة على نفسه بكفر نعمةِ ربِّه، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ وهو المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي كثير الحبِّ له، وحبُّه إيَّاه حَمَلَهُ على البخل به، فصيَّره كفورًا.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ وهو المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي كثير الحبِّ له...) إلى آخر كلامه، فيه تفسير الخير هنا بأنَّه: المال؛ لأنَّ المالَ يُسمَّى: خيرًا، ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة:١٨٠]؛ أي: مالًا، وهو من الخير المقيَّد، المتعلِّق بالأمور الدُّنيويَّة، فإنَّه يكون خيرًا إذا جُمع من حقٍّ وأُعطي من حقٍّ، ويكون شرًّا إذا جُمع من غير حقٍّ، وأُعطي في غير حقٍّ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

ولـهَـٰذَا قال الله تعالى تحذيرًا له وتخويفًا: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ ﴾ هَـٰذَا الكَفُورُ عن عقابه ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾؛ أي: أُثير ما فيها، وأخرجَ الله الأمواتَ منها، ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ فجُمِعَ وأُحْصِي ما فيها من كمائن الخير والشَّرِّ، ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾؛ أي مُطَّلِعٌ على أعمالِهم، ومجازيهم عليها، وخَصَّ خُبْرَهُ بيوم القيامة حين تُبعثر القبور ويُحصَّل ما في الصُّدور، مع أنَّه خبيرٌ بهم في كلِّ وقتٍ = لأنَّ المراد: الجزاء بالأعمال النَّاشئُ عن علم الله بهم واطِّلاعه عليهم.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ذكر المصنِّف في تفسير هَـٰذِهِ الآية: (﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾؛ أي مُطَّلِعٌ على أعمالِهم، ومجازيهم عليها)، **فخُبْرُه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هنا يجمع أمرين:**

أحدهما الاطِّلاع على العمل.

والآخر: الجزاء عليه.

ومن طرائق القرآن أنَّه يُشار تارةً إلى الجزاءِ بالعِلْم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠]، فالمقصود بالعلم هنا علم الجزاء؛ لأنَّه لا معنى لاختصاص مجرَّد إدراك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فعْلَنَا هَـٰذَا، فإنَّه يعلم كل شيءٍ منَّا.

فالمقصود من تخصيصه بالخبر بعلم الله عَزَّوَجَلَّ هو الإشارة إلى علم جزائه.

وهَٰــذِهِ الآيــة الَّتــي ذكرناهــا ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠] مـن الأدلَّـة عـلى أنَّ النَّـذر عبـادةٌ ممدوحـةٌ مطلوبـةٌ في الشَّـرع، عـلى الأوصاف الثَّلاثة الَّتي ذكرناها[1].



(١) في شرح «ثلاثة الأصول وأدلَّتها».

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة القارعة

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾.

القارعةُ من أسماء يوم القيامة؛ لأنَّها تَقْرَعُ قلوبَ النَّاس وتُزعجهم بأهوالها، ولهَٰذَا عظَّم شأنها وهوَّل أمرَها بقوله: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾؛ فأيُّ شيءٍ هي هَٰذِهِ القارعةُ؟، وأيُّ شيءٍ أَعْلَمَك بها؟

ثمَّ أخبر عنها فقال: ﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ ﴾ من شدَّة الفَزَعِ والهَوْل، ﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴾ أي: المنتَشِر، والفراشُ: فرْخ الجراد حين يخرج من بيضه يركَبُ بعضُه بعضًا، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴾ [القمر:٧]، ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴾ أي الصُّوف ﴿ٱلۡمَنفُوشِ ﴾: المتمزِّق الَّذي فُرِّقَتْ بعضُ أجزائِه عن بعضٍ.

وفي ذَٰلِكَ اليوم تُنصَب الموازين، ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ برجحان حسناته على سيِّئاته ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾؛ أي حياةٍ مَرْضِيَّةٍ في جنَّات النَّعيم، ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بأن لم تكن له حسناتٌ تُقاوِم سيِّئاته ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴾؛ أي:

مأواه ومسكنه النَّار، تكون له بمنزلة الأمِّ الَّتي يأوي إليها ويلزمها؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥]؛ أي: مُلازمًا أهلًا.

✿ ✿ ✿

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قولُه: (وفي ذَٰلِكَ اليوم تُنصَب الموازين، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾)، تقدَّم أنَّ الميزان في أصحِّ الأقوال هو ميزانٌ واحدٌ، ووقع في القرآن مجموعًا باعتبار تعدُّد الموزون فيه، والدَّليل قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَٰنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**». رواه البخاريُّ ومسلمٌ من حديث القعقاعِ بن حكيمٍ عن أبي زرعةَ بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

وعظَّم أمرَها فقال: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾، ثمَّ فسَّرها بقوله: ﴿ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾، أي شديدة الحرارة، من الوُقود عليها، وصحَّ في الحديث أنَّ حرارتها تزيد على حرارة نار الدُّنيا سبعين ضِعفًا.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (من الوُقود عليها)؛ أي: الإيقاد عليها، فـ(الوُقود) بالضَّمِّ هو: الإيقاد، و(الوَقود) بالفتح هو: ما تُشعل به النَّار؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التَّحريم:٦].



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة التَّكاثر

عن عبد الله بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيتُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قال: «**يَقُولُ ٱبْنُ آدَمَ: مَالِي! مَالِي!**»، قال: «**وَهَلْ لَكَ يَا ٱبْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**». رواه مسلمٌ.

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الفَقْرَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ التَّكَاثُرَ، وَمَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الخَطَأَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ العَمْدَ**».
رواه أحمدُ، وإسناده صحيحٌ.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ⑧﴾.

يقول الله تعالى - موبِّخًا المشركين ومُحذِّرًا عباده المؤمنين -: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾؛ أيْ شغلكم عمَّا خُلقتم له - وهو عبادة الله - ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ بينكم؛ وهو التَّفاخر بالكثرة فيما يُرغَب فيه من الدُّنيا؛ كالنِّساء، والبنينَ، والقناطير المُقَنْطَرَة من الذَّهب والفضَّةِ، والخيل المُسَوَّمة، والأنعام، والحرث، وحَذَفَ المتكاثَر به ليشمل كلَّ ما يُكاثَر به،...

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ما ذكر المصنِّف وفَّقه الله من أعيان المُتكاثر به دليله قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [آل عمران:١٤]، فهٰذِهِ الآية أصلٌ في بيان الأعيان الَّتي يتفاخر النَّاس بالكثرة فيها.

وهي مأذونٌ في أصلها، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [مريم:٥٩] ذمًّا لهم، فكيف نقول أنه مأذونٍ بها؟

وجوابه أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر عن الإذن بها في قوله: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ... ﴾، فهو موروثٌ في فطرهم، والمذموم هو أن تكون الشَّهوة حاكمةً على الإنسان مُسيِّرةً له، وهو المذكور في قوله: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾، فاتِّباع الشَّهوة غيرُ محبَّة الشَّهوة في أصل الفطرة.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

...ولم تزالوا على تلك الحال ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾؛ بأن مُتُّمْ فدُفِنْتُم فيها، وصِرتم إليها، وإنَّما جعل المُقَام في البرزخ زيارةً لأنَّ المقصودَ منه: النُّفوذ إلى الدَّار الآخرة، فجعلهم الله زائرين لا مقيمين، والبعث والجزاء يكونان في تلك الدَّار، ولهَٰذَا توعَّدَهمْ بقوله: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ سوءَ عاقبةِ تكاثركم وتشاغلكم عن عبادة ربِّكم، وكرَّر الجملة مبالغةً في التَّهديد، وزيادةَ تأكيدٍ في تحقُّق الوعيد.

ثمَّ زجرهم عن غيِّهم مرَّةً أخرى فقال: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي: لو تعلمون عِلْمًا ثابتًا في القلب ما تستقبلونَ بعد الموتِ لَمَا أَلْهَاكُمُ التَّكاثر عن عبادة الله.

ثمَّ أقسم الله فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾، والجملة جَوابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ تقديره: والله لَتَرَوُنَّ الجحيم الَّتي أعدَّها الله للكافرين، ثمَّ أكَّد القَسَم بقَسَمٍ آخرَ فقال: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي عِيانًا بأبصاركم؛ وذَٰلِكَ قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١﴾ [مريم]، فإذا رأيتموها سُئلتم حينئذٍ عنِ النَّعيم؛ وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي فَلَيَسْأَلَنَّكُمُ الله عمَّا تنعَّمتم به في دار الدُّنيا، أشكرتم أم كفرتم؟

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ذكر المصنِّف وفَّقه الله فيما سلف من كلامه بيانَ ما يتعلَّق بمرتبتين من مراتب الإدراك، **فإنَّ مراتب الإدراك الَّتي ذُكرت في القرآن ثلاثٌ:**

الأولى: علم اليقين؛ وهو: العلم الثَّابت في القلب.

والثَّانية: عين اليقين؛ وهو: العلم المشاهد المُدرك بالحسِّ.

والثَّالثة: حقُّ اليقين؛ وهو: العلم النَّاشئ عن الوصول إلى المعلوم.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

عن عبد الله بْنِ الزُّبيرِ بن العَوَّام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن أبيه قال: لمَّا نزلت: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قال الزُّبير: يا رسولَ الله؛ وأيُّ النَّعيم نُسأل عنه، وإنَّما هما الأسودان التَّمرُ والماء؟!، قال: «**أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ**». رواه التِّرمذيُّ بسندٍ حسنٍ.

وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذات يومٍ أو ليلةٍ، فإذا هو بأبي بكرٍ وعمرَ، فقال: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَٰذِهِ السَّاعَةَ؟!**»، قالا: الجوعُ يا رسولَ الله، قال: «**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فقاموا معه فأتى رجلًا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيتِه، فلمَّا رأته المرأةُ قالت: مرحبًا وأهلًا، فقال لها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**»، قالت: ذهب يَسْتَعْذِب لنا من الماء، إذْ جاء الأنصاريُّ فنظر إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصاحِبيْه، ثمَّ قال: الحمدُ لله، ما أحدٌ اليومَ أكرمَ أضيافًا منِّي، قال: فانطلق فجاءهم بعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وتمرٌ ورُطَبٌ، فقال: كلُوا من هَٰذِهِ، وأخذ المُدْيَةَ، فقال له رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ**»، فذبح لهم، فأكلوا من الشَّاة، ومن ذَٰلِكَ العِذْقِ، وشربوا، فلمَّا أن شَبِعُوا ورَوُوا، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي بكرٍ وعمرَ: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَٰذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَٰذَا النَّعِيمُ**». رواه مسلمٌ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة العصر

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾.

ٱستفتح الله هَٰذِهِ السُّورة بالقسم فقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾، وهو الوقت المعروف آخر النَّهار قبل غروب الشَّمس؛ والمُقسم عليه: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ فكلُّ النَّاس في خسرٍ؛ أي هَلَكَةٍ ونقصانٍ، ثمَّ ٱستثنى من الخُسر الَّذين ٱتَّصفوا بأربع صفاتٍ هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

فالصِّفة الأولى: الإيمان، وإنَّما يُدرك أصلُه وكمالُه بالعلْم.

والثَّانية: العمل الصَّالح.

وبهما يُكَمِّل الإنسان نفسه.

والثَّالثة: التَّواصي بالحقِّ، يأمر بعضهم بعضًا به.

والرَّابعة: التَّواصي بالصَّبر على أمر الله.

وبهما يُكَمِّل الإنسان غيْرَه.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله في تفسير (العصر): (وهو الوقت المعروف آخر النَّهار قبل غروب الشَّمس)؛ داعيه التَّرجيح بواحدةٍ من قرائن التَّرجيح، فإنَّ المعاني المشتركةَ في كلمات القرآن الكريم يرجَّحُ واحدٌ منها على آخرَ بقرينةٍ؛ منها: لغة القرآن والسُّنَّة. ذكره ابن تيميَّة الحفيد في «مقدِّمة أصول التَّفسير».

و(العصر) في لغة الشَّرع إذا أُطلِق يُراد به هَٰذَا المعنى: الكائنُ آخر النَّهار، ومنه سُمِّيت الصَّلاة الَّتي فيه: صلاةَ العصر، إضافةً إليه.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة الهمزة

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ .

هَٰذِهِ السُّورة مُستفتَحةٌ بالوعيد، ففَاتِحتُهَا: ﴿وَيْلٌ﴾ كلمةُ وعيدٍ وتهديدٍ، تتضَمَّنُ الدُّعاءَ عليه بسوء الحال؛ لتعديتِهَا باللَّام في قوله: ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، فتقدير الكلَامِ: ويلٌ له، وهو الَّذي يهمِز النَّاس بفِعله، ويلمزهم بقوله، فالهمَّاز: مَن يعيب النَّاس، ويطعن عليهم بالإشارة، واللَّمَّاز: مَنْ يعيبُهم بقولِه ويطعن عليهم بالعبارةِ.

والهُمَزَةُ واللُّمَزَةُ والهَمَّاز واللَّمَّاز للمبالغة.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ذكر المصنِّف وفَّقه الله في فاتحة هَٰذِهِ السُّورة أنَّ كلمة (ويل): (كلمةُ وعيدٍ وتهديدٍ)، وهو الَّذي تعرفه العرب منها في لسانها.

وللعرب خمس كلماتٍ ٱتَّفقت في وزنها ومعناها، ويراد بها التَّهديد والوعيد:

أوَّلها: ويل.

وثانيها: وَيْح.

وثالثها: وَيْك.

ورابعها: وَيْس.

وخامسها: وَيْب.

فهَؤُلَاءِ الكلمات الخمس كلُّهنَّ للتَّهديد والوعيد، ولا سادس لهنَّ. ذكره ٱبن خَالَوَيْه في كتابِه «ليس»، وعقدتُه نظمًا بقولي:

وَيْــلٌ وَوَيْـحٌ ثُمَّ وَيْكٌ وَيْسُ   وَيْـبٌ لِتَهْدِيدٍ تُقَــالُ الخَمْسُ

والحديث المرويُّ أنَّ (ويلًا) وادٍ في جهنَّمَ لا يصحُّ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

ومن صفتِه حرصُه على جمع المال وتعديده؛ فذكره الله به فقال: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾، وهو لشدَّةِ وَلَعِهِ بماله ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ فأبقاه في الدُّنيا؛ لأنَّ الخلودَ فيها أقصى أمانيِّه؛ إذ لا يُؤمِن بحياةٍ أخرى.

ثمَّ توعَّده الله بأنَّ الأمر على خلاف ظنِّه، فما مالُه بمُخلِّده، وإنَّ الله مُعاقِبُه، فقال: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ﴾، وهو جواب قَسَمٍ محذوفٍ؛ أي والله ليُطرَحنَّ ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ الَّتي تَحْطِمُ ما يُلقى فيها وتهشِمه، ثمَّ هوَّل شأنها وعظَّمَه في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾، ثمَّ فسَّرها بقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾؛ أي المُسَعَّرة المُشْعَلَةُ بالنَّاس والحجارة، ﴿ٱلَّتِى﴾ من شدَّتها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾؛ فتَنفُذُ من الأجساد إلى القلوب فتُحرقِها، وأَلَمُ حرْقِ القلوب أشدُّ من أَلَمِ غيرِها لِلُطفِها.

وأهلها محبوسون فيها، قد أَيِسُوا مِنَ الخروج منها؛ لِمَا أخبر الله عنه بقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾؛ أي مُغلقةٌ عليهم، وهم يُعذَّبون فيها، ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾؛ أي أعمدةٍ طويلةٍ.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قولُه: (وأَلَمُ حرْقِ القلوب أشدُّ من أَلَمِ غيرِها لِلُطْفِه)؛ أي: أنَّ الألمَ الَّذي يصل إلى القلب إذا بلغته النَّار يكون أشدُّ من غيره؛ لِلُطف القلب، فهو جِرْمٌ لطيفٌ يتأذَّى بالنَّار الحارقة أكثر من تأذِّي باقي باطن البدن.

وقوَّى تخصيصّه بالعذاب كونَه مبدأ الفكر والإرادة الَّتي أوقعت العبد باستحقاق العذاب.



قَالَ المُصنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة الفيل

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾ .

ذكر الله تعالى في هَٰذِهِ السُّورة خبر أصحاب الفيل، وباشر بالمخاطبة بها الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقويةً له وتثبيتًا؛ بإظهار قُدرة ربِّه الَّذي أرسله؛ فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ﴾؛ وهو ٱستفهامٌ تقريريٌّ؛ أي أَمَا عَلِمتَ كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل؟، الَّذين كَادُوا بَيْتَه وأرادوا هدْمَه، فجعل سعْيَهم وما دبَّروه من شرٍّ في تضييعٍ؟!، وهم الحبشةُ الَّذين جاؤوا مكَّةَ غزاةً مُضْمِرِينَ هَدْمَ الكعبة؛ ٱنتقامًا من العرب، فإنَّ مَلِكهم أبرهةَ بنى كنيسةً عظيمةً سمَّاها (القُلَّيْسَ)، وأراد أن يصرِفَ حجَّ العَرَبِ إليها، فجاء رجلٌ منهم فأَحْدَثَ فيها تحقيرًا لها؛ ليتسامع العرب بذَٰلِكَ فتهونَ عليهم، فغضب أبرهةُ وعزم على غزو مكَّةَ ليهدم الكعبةَ، فجهَّزَ جيشًا عظيمًا لا قِبَلَ للعرب به، وٱستصحب معه الفيلَ لهدمها، فلمَّا وصلُوا قُرب مكَّةَ خرج أهل مكَّةَ منها خوفًا على أنفسهم، فحبس اللهُ الفيلَ، ﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ﴾؛ أي جماعاتٍ متتابعةً متفرِّقةً، ﴿تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ﴾: تقذفهم بحصًى صغيرةٍ من سجِّيلٍ، وهو الطِّين المتحجِّر، ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾؛ أي محطَّمين كبقايا الزَّرع

الَّذي دخلته البهائمُ فأكَلَتْهُ، وداسَتْهُ بأَرْجُلِهَا، وطرحَتْهُ على الأرض، بعد أن كان أخضرَ يانعًا، وكان هَٰذَا عامَ مولدِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (وكان هَٰذَا عامَ مولدِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ أي: قارنَ وقوعُ الحادثة مولد النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي تلك السَّنة الَّتي حدثت كائنة الفيل وقدومُ جيش الحبشة وُلِد النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجُعلت تلك الواقعة توطئة لميلاد النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتحفظه العرب، فإنَّ العرب تحفظ تواريخ سِنِيها بما يقع من الحوادث فيها، فيؤرِّخون تارةً: بقولهم عام الفيل، وتارةً: يوم ذي قار – أي: سنة ذي قار، إلى آخر ما عُرِف من أعوام العرب وأيَّامهم قديمًا وحديثًا، فلمَّا ٱقترنت ولادتُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحادثة الفيل حُفِظَت، وعرفتِ العربُ السَّنة الَّتي ولد فيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة قريش

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾.

هَٰذِهِ السُّورة مفردةٌ في قبيلة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيمًا له ولهم، والجارُّ والمجرورُ في صدرها ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ متعلِّقٌ بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾، ودخلت عليه الفاء لِمَا في الكلام من إرادة الشَّرط؛ إذْ معناه: إنَّ نِعَم الله عليهم لا تُحصى، فإنْ لم يعبدوه لأجل ربوبيَّتِه المظهرَة بنعمه فليعبدوه لأجل إيلافهم؛ أي ما لزموه واعتادوه مع الأُنس به، ثمَّ فسَّره بقوله: ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، وهي رحلةُ تجارتهم في الشِّتاء لليمن، وفي الصَّيف للشَّام.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قولُه: (وهي رحلةُ تجارتهم في الشِّتاء لليمن، وفي الصَّيف للشَّام)؛ لملائمة الحال لذَٰلِكَ الارتحال، فكانوا يتخيَّرون أن يذهبوا بتجارتهم إلى الشَّام في الصَّيف؛ لأجل برودتها، ويتخيَّرون ذهابهم بتجارتهم في الشِّتاء إلى اليمن؛ لأجل دفئها.

والمراد بـ(اليمن) هنا: اليَمَن الأسفلُ، وهو إقليم تِهامة [١] الَّذي يمتدُّ اليوم بين هَٰذِهِ البلاد وبين جارتها الجمهورية اليمنيَّة.



(١) و(تِهامة) بالكسر، وضابط حفظها: أنَّ تِهامة هي المنخفض من الأرض، والخفضُ حركتُه الكسر.

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه اللّٰه:

وأخَّـر مـا أمـرهم بـه اعتنـاءً بـما قـدَّم فقـال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾، وخصَّـه بالرُّبوبيَّة لفضلِه وشرفِه، ثـمَّ أبْرَزَ بعض ما طواه قبلُ من نِعَمه عليهم الموجِبة عبادتَه؛ فقال: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ فرزقهم من الثَّمرات، وهيَّأ لهم أسباب التِّجارات، ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ فصيَّر بلدَهم حَرَمًا آمنًا، وأعْظَمَ قدْرهم عند الخلق فلا يتعرَّض لهم أحدٌ بسوءٍ؛ لأنَّهم جيران الكعبة المعظَّمة.

فانتظام سياق معانيها في وضْعِ الكلام: لِتَعْبُدْ قريشٌ ربَّ هَٰذَا البيت؛ لما أَنْعَمَ عليهم في رحلة الشِّتاء والصَّيف، فأطعمهم من جُوعٍ وآمَنَهُمْ من خوفٍ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة الماعون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى في ذمِّ مَنْ ضيَّع حقَّهُ وحقوق عباده: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾، وهو الحساب والجزاء على الأعمال، والاستفهام للتَّعجُّب من حالِهم، وما أورثهم تكذيبُهم من سوء الصَّنيع، ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾؛ أي: فهو ذَٰلِكَ الَّذي يدفع اليتيم بعنفٍ وشدَّةٍ، ويمنعه حقَّه؛ لغِلْظَةِ قلبه، وتكذيبه جزاءَ ربِّه، ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ غيرَه - والحضُّ: الحثُّ - ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾، وأحرى به أنَّه لا يُطعمه بنفسِه لمحبَّته المالَ وبُخْلِهِ به.

ثمَّ توعَّد صنفًا من المصلِّين همُ المنافقونَ، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ أي: لاهون، فلا يؤدُّونها في وقتها، ولا يُقيمونَها على وجهها.

وفي «صحيح مسلمٍ» عن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ: يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ؛ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**».

والسَّهو عنِ الصَّلاة هو المستشنع المذمومُ، وأمَّا السَّهو فيها فيقع من كلِّ أحدٍ؛ لأنَّه واردٌ قلبيٌّ لا ٱختيار للعبد فيه.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

هَٰذَا الَّذي ذكره المصنِّف آخرًا يبيِّن أنَّ **السَّهو المتعلِّق بالصَّلاة نوعان:**

أحدهما: سهوٌ في الصَّلاة؛ وهو: ذهول القلب عن معلومٍ فيها؛ بالنَّقص، أو الزِّيادة، أو الشَّكِّ.

والآخر: سهوٌ عن الصَّلاة؛ وهو: الغفلة عنها لعدم أدائها في وقتها وترك إقامتها على وجهها.

والفرق بينهما: أنَّ الأوَّل يُعذَر فيه العبد، وأمَّا الثَّاني مذمومٌ ينهى عنه العبد.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

ثـمَّ وصفهم بالرِّياء والحرص على الدُّنيا، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾: فيُظهِرون أعمالهمُ الصَّالحةَ ليراها النَّاس؛ فيحمدُوهم عليها، ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾؛ أي: يمنعون النَّاس منافعَ ما عندهم؛ كالزَّكاة وما لا تضرُّ إعارَتُه، ممَّا يُستعان به على عمل البيت من آنيةٍ وآلةٍ؛ ومنها القِدْرُ والدَّلْوُ وما جرتِ العادة ببذلِه؛ لشدَّة حرصهم على الدُّنيا وشُحِّهم بها، فلا هم أحسنوا عبادة ربِّهم، ولا هم أحسنوا معاملة خلْقِه.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله: اليمن)

قوله: (فيُظهِرون أعمالهمُ الصَّالحةَ ليراها النَّاس؛ فيحمدُوهم عليها)؛ تفسيرٌ لحقيقة الرِّياء، فإنَّ **الرِّياء** هو: إظهار العبد عملَه ليراه النَّاس فيحمدوه عليه.

والفرق بينه وبين صنوه التَّسميع: أنَّ الرِّياء آلتُه الرُّؤية بالعين، وأمَّا التَّسميع فآلتُه السَّماع بالأذن، وفي حديث جندبٍ في الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ**».



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة الكوثر

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣ ﴾.

ٱمتنَّ الله عَزَّوَجَلَّ على نبيِّه محمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال له: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ وهو نهْرٌ في الجنَّة، ومنه يشخُب ميزابان يصُبَّان في حوض النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في عَرَصَات يوم القيامة.

وفي «صحيح مسلمٍ» عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: بينا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذات يوم بين أظهرنا؛ إذ أغفى إِغْفَاءةً، ثمَّ رفع رأسَه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟، قال: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**»، فقرأ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾»، ثمَّ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الكَوْثَرُ؟**»، فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ العَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**».

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (وهو نَهْرٌ في الجنَّة، ومنه يشخُب ميزابان يصُبَّان في حوض النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عَرَصَات يوم القيامة)؛ صحَّ هَٰذَا الوصف عند مسلمٍ في «صحيحه».

وقوله: (يشخُب)؛ **الشَّخْب** هو: الجري بانحباسٍ وشدَّةٍ، ومنه شخْب الحليب إذا أريد إخراجه من ضرع بهيمة الأنعام، فإنَّه يخرج شخْبًا؛ أي: بانحباسٍ وشدَّةٍ.

وذكر المصنِّف تفسير الكوثر بنهَرٍ في الجنة لما جاء في ذَٰلِكَ من الأحاديث الصِّحاح، ومنها ما ذَكَرَ، وهو أحسن من القول الآخر: أنَّه الخير الكثير، وإن كان الخير الكثير أعمَّ، فإن من أفراد الخير: النَّهر، لَكِن **تفسير الآيات بالنَّهر أصحُّ لأمرين**:

أحدهما: أنَّ الخير الكثير في الجنَّة هو فضل الله على كلِّ أهلها - جعلنا الله وإيَّاكم منهم -، فلا يختصُّ بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان يحظى بها لا يحظى به غيره من أنواع النَّعيم.

والآخر: أنَّه أبينُ في الامتنان عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأن يكون له ما ليس لغيره.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

ولمَّا ذكر مِنَّته عليه؛ أَمَره بشُكرها فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾؛ أي: أَخْلِص صلَاتَك كلَّها لربِّك، وٱجعل ذبحَك له وعلى ٱسمه وَحْدَهُ، وخَصَّ هاتين العبادتين بالذِّكْر لفضلهما، فالصَّلاة تتضمَّن خضوع القلب والجوارح لله، والنَّحرُ يتضمَّن التَّقرُّب إليه بسفك الدَّم منَ النَّحَائِرِ المشتمل على سماحة النَّفس بالمال.

ثم ذكر من مِنَّتِه عليه أيضًا خَسَار شانِئِه، فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾؛ أي مُبغضك ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ المقطوعُ من كلِّ خيرٍ.

***

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾؛ أي مُبغضك ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ المقطوعُ من كلِّ خيرٍ)؛ فكل من أبغض شيئًا يتعلَّق بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجزاؤه قطع الخير، **والَّذي يتعلَّق به بغض النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئان:**

أحدهما: بُغضُ شخصه.

والآخر: بُغضُ هديِه.

فكلاهما ما يُعاب ويُلام العبد عليه ويُنهى عنه، فإنَّا أُمِرنا بحبِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شخصه؛ لما ٱمتنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عليه وعلينا بجعله رسولًا من الله إلينا، وأمرنا أن نتَّبع هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن نطيعَه، فقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النِّساء:٥٩]، وقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

وروى النَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» عنِ ٱبن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: لمَّا قَدِم كعب بن الأشرفِ مكَّةَ قالت له قريشٌ: أنت خيرُ أهل المدينة وسيِّدهم؟، قال: نعم، قالوا: أَلَا ترى إلى هَـٰذَا المُنْبَتِرِ مِن قومه؟، يزعم أنَّه خيرٌ منَّا ونحن - يعني أهلُ الحجيج، وأهل السِّدانةِ! - قال: أنتم خيرٌ منه، فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، ونزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النِّساء:٥١-٥٢]. وإسناده صحيحٌ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفقَّه اللّٰه:

تفسير
سورة الكافرون

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾.

أمر الله رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في هَـٰذِهِ السُّورة أن يُبَلِّغ الكافرين أمرًا عظيمًا؛ فقال: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ الباقون على كفركم: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ من الآلهة في المستقبل، كما أنِّي لا أعبدها الآن.

ثمَّ أخبر عن حالهم فقال: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، وهو الله المستحِقُّ وحدَه للعبادة، فعبادتكم إيَّاه وأنتم تُشركون به لا تُسمَّى عبادةً، ثمَّ كرَّر براءته من آلهَتِهم فقال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾؛ للدِّلالة على الثَّبات، وتأييسهم من عبادته لها، وأخبر عن تحقُّقِ تكذيبِهم فقال: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾؛ للدِّلالة على أنَّ ذَٰلِكَ صار وصْفًا لازمًا لهم: أنَّهم لا يؤمنون.

فلكلٍّ دينُه الَّذي رضيَه؛ قال تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾؛ أي: لكم دينكمُ الَّذي رضيتموه وهو الشِّرك، وليَ ديني الَّذي رضيه لي ربِّي وهو الإسلام.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

بيَّن المصنِّف الفرق بين الإضافتين في قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، فإنَّ الله أضاف للمشركين دينًا وأضاف للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دينًا، وحذفت ياء الإضافة عند جمهور القرَّاء، وقرأ يعقوب بالإضافة: ﴿وَلِيَ دِينِي﴾.

والفرق بين الإضافتين: أنَّ دين الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمله عليه الهدى فاتَّبعه، أمَّا دين المشركين فحملهم عليه الهوى فاحتملوه، فدين النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحيٌ، ودين أولئك نِتَاج الأهواء واتِّباع الشَّياطين.

ومقصود هَٰذِهِ السُّورة أمران:

أحدهما: إبطال دين المشركين.

والآخر: تأييسُهم من موافقة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، فهو يخبرهم أن لا أَمَلَ أن يوافقهم على دينهم.

فإذا كان هَٰذَان الأمران هما مقصود السُّورة؛ فإنَّ الآية الأخيرة تكون لإعلان البراءة لا لطلب الاختيار، فإنَّ قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾؛ أي: لكم دينكم ولي ديني، فأنا بريءٌ من دينكم كما أنَّكم بريئون من ديني.

ومن الفهوم السَّقيمة بأخرة توهُّم أنَّ هَٰذِهِ الآية تدلُّ على الاختيار، بأنَّ لكلِّ أحدٍ دينُه، ويعبرون عنه بقولهم: أنَّ الله كفل بهَٰذه الآية حرِّية الاختيار في الإسلام أو الكفر = وهَٰذَا قولٌ على الله بغير علمٍ، فإنَّ هَٰذِهِ الآية ليست لترك الاختيار للخلق أن يختاروا إسلامًا أو كفرًا، فالآية في بيان البراءة من دين المشركين، ولزوم دين المسلمين الَّذي جاءت به الرُّسل.



قَالَ المُصنِّفُ وفقه الله:

تفسير
سورة النَّصر

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾.

تضمَّنت هَٰذِهِ السُّورة بشارةً لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإشارةً عند حصولها، وأمْرًا.

فالبِشارة هي البشارة بنصْر الله له على الكافرين، ووقوعِ فتْح مكَّةَ، ودخول النَّاس في دين الله أفواجًا - أي: جماعاتٍ تلو جماعاتٍ -، وذَٰلِك في قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾.

وأمَّا الإشارة والأمر فهي الإشارةُ إلى دُنوِّ أجَلِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذَٰلِك في قوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾، فإنَّ عُمُرَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمُرٌ فاضلٌ أقسم الله به، والأمور الفاضلة تُختَم بالاستغفار؛ كالصَّلاة والحجِّ، فأمْرُ الله رسولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُسَبِّحَه مع حمْده ويستغفرَه؛ فيه إشارةٌ إلى ٱنقضاء عُمُره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليتهيَّأَ لِلقاء ربِّه.

❁❁❁

قَالَ الشَّارح وفقه الله:

ذكر المصنِّف وفَّقه الله أنَّ هَٰذِهِ السُّورة مشتملةٌ على الإشارة إلى دنوِّ أجل لنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ٱستنبط هَٰذا المعنى عمر بن الخطَّاب وٱبن عبَّاسٍ في حديثٍ طويلٍ في «الصَّحيحين».

فتكون وفاة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وميلادُه جاءتا في قصار المفصَّل؛ فميلاده جاء في سورة الفيل، ووفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءت في سورة النَّصر، وأشرت إلى ذَٰلِكَ ببيتٍ وهو:

رسولُنا ميلادُه في الفيل ... وموتُه في النَّصر في التَّنزيل

فهاتان السُّورتان فيهما ميلاد النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفاته، وهَٰذَا من دلائل ما ذكرتُ لكم: أنَّ المفصَّل يشتمل على عُظْم ما يتعلَّق بالحكم الشَّرعي الخبريِّ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ يُوَفِّق الخلقَ للتَّوبة ويقْبَلُهَا منهم، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتأوَّل القرآنَ، ويُكثر أن يقول في ركوعه وسجُودِه: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**». متَّفقٌ عليه.

***

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

ذكر المصنِّف وفَّقه الله في تفسير ﴿تَوَّابَۢا﴾ قولَه: (يُوَفِّق الخلقَ للتَّوبة ويقْبَلُهَا منهم)،

فتوبة الله على عباده تتضمَّن أمرين:

أحدهما: توفيقهم إليها، فيُيَسِّر لهم سبيل التَّوبة.

والآخر: قبولها منهم بعد صدورها، فإذا تابوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل توبتَهم.

فسُمِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (توَّابًا) بهَذَا. ذكره ابن تيميَّة الحفيدُ في «قاعدة التَّوبة».



قَالَ المُصَنِّفُ وفقه الله:

تفسير
سورة المسد

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾ .

أخرج البخاريُّ ومسلمٌ عن ٱبنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: لمَّا نزلتْ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشُّعراء]؛ صَعِدَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ على الصَّفا، فجعل ينادي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ؛ يَا بَنِي عَدِيٍّ؛**» لبطون قريشٍ حتَّى ٱجتمعوا، فجعلَ الرَّجل إذا لم يستطعْ أن يخرج أرسلَ رسولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فجاءَ أبو لَهَبٍ وقريشٌ، فقال: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟!**»، قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلَّا صِدْقًا، قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»، فقال أبو لَهَبٍ: تبًّا لكَ سائرَ اليومِ، ألِهَٰذَا جَمَعْتَنَا؟!؛ فنَزلَتْ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

وأبُو لَهَبٍ من أعمام النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وكان شديدَ العداوة والأذيَّةِ لَهُ، فهَلَكَ بذَٰلِكَ، وأخبرَ الله عنْهُ وعنِ ٱمرأتِه في هَٰذِهِ السُّورة فقال: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾؛ أي: خسرت يداه، ﴿وَتَبَّ﴾ فلم يَرْبَحْ، والجملة الأولى دعاءٌ عليه، والثَّانية خبرٌ عنه، و﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾، وكسْبُه: ولَدُه، فَلَنْ يَرُدَّ عنه مالُهُ وولَدُه شيئًا من عذاب الله إذا نزلَ به.

وقد توعَّده الله بقوله: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾؛ أي: سيدخل نارًا عظيمةً تتوقَّدُ فيصلاها، ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾، وهي أمُّ جميلٍ الَّتي كانت تحمل أغصان الشَّجر الكبيرةَ ذاتَ الشَّوكِ، فتُلقيها في طريق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أذيَّةً له، فأعدَّ الله لها في عنقها حبلًا من مسدٍ؛ لقوله مُخبِرًا: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾، والمَسَدُ: اللِّيف الشَّديد الخُشُونة إذا فُتِل وجُدِل؛ كضفائر الشَّعْرِ.

وكان نزولُ هَٰذِهِ السُّورة قبلَ موتِ أبي لهبٍ وٱمرأتِه، وأخبرَ الله أنَّهما سيُعذَّبان في النَّار، فلن يُسْلِمَا، فوقع الأمر كما أخبر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

***

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

من مواقع فهم خطاب الشَّرع ملاحظة ما يجري فيه من المقابلة، ومنه في هَٰذِهِ السُّورة مقابلةُ الله عَزَّوَجَلَّ بين أبي لهبٍ وٱمرأته، فإنَّ الله ذكر أبا لهبٍ بما يُعرف به فقال: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾، وذكر ٱمرأة أبي لهب بغير ما يدلُّ عليها، فذكرها مبهمةً فقال: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾.

فأمَّا ذِكْرُ أبي لهبٍ باسمه - أبي لهبٍ - **فلثلاثة أمورٍ:**

أوَّلها: ما في كنيته من الإشارة إلى عذابه، وهو اللَّهب، **واللَّهب**: هو ما يصطلي من النَّار.

وثانيها: مبالغةً في ترغيمه وإذلاله، إذ يذكر بما يعظَّم به – وهو الكنية - ثمَّ يُهان؛ كقوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ [الدُّخان]، فإنَّ الكنية عند العرب للتَّكريم، فإذا وقعت في موقع المهانة كان من أشدِّ المهانة لِمَن ذُكِر بها.

وثالثها: أنَّه الاسم الَّذي كان يُعرف به، فهو ممَّن يقال فيه أنَّ كنيته هي ٱسمه، وما رُوي بأنَّ ٱسمَه (عبد الكعبة) هو خلاف المشهور، فالمشهور أنَّ كنيتَه هي ٱسمُه.

وأمَّا الأمر الثَّاني - وهو إبهام ٱمرأته - **فوقع لثلاثة أمورٍ أيضًا**:

أوَّلها: لما في ٱسمها من التَّمليح الَّذي لا يناسب العذاب، فإنَّه يُقال لها: أمُّ جميلٍ.

وثانيها: أنَّ عادة العرب ذِكْرُها المرأةَ على وجه الإبهام. ذكره ٱبن جُزَيٍّ في غير هَٰذَا الموضع من «تفسيره»، فلم يأت في القرآن الكريم تسميةُ ٱمرأةٍ سوى (مريم)؛ لأجل المنفعة من تسميتها بذكر ولدها عيسى وأنَّه لا والدَ له(١).

وثالثها: أنَّ المرأة تابعةٌ زوجَها، ولذَٰلِكَ ذكرها بالإضافة إليه، فقال: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾، فجعلَها مضافةً إليه بالضَّمير.

والمقصود بتبعيَّتها: كونُها في كنفِه ورعايتِه، لا في سجنه ومهانته، فالشَّرع لم يأت بهَٰذَا، إنَّما أتى أن تكون المرأةُ تابعةً للرَّجل بأن يكون حريصًا على إكرامها وصيانتها وحفظها،

---

(١) فالجاري في عُرف العرب المبالغة في صيانة المرأة، لا الخوف من عارها كما يقوله من لا يعرف لسان العرب، فالعربيُّ لا يأنف من ذكر ٱسم أمِّه أو أخته لأجل أنَّها عارٌ، وإنَّما لأجل المبالغة في صيانتها، فهَٰذَا هو مأخذهم في عدم ذكر ٱسمها.

فالأصل صَوْن النِّساء عن ذكر أسمائهنَّ؛ حفظًا لهنَّ وغيرةً عليهنَّ، مع الفخرِ بهنَّ، فإنِ ٱحتيج إلى ذكر أسمائهنَّ فلا بأس، كما في الصَّحيح أنَّ عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قال للنَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: من أحبُّ النَّاس إليك؟، فقال: «**عَائِشَةُ**». فإذا وُجدت الحاجة صرَّح بذَٰلِكَ، أمَّا الابتداء بلا حاجة فهَٰذَاعلى خلاف سَنن العرب الَّذي جاء الشَّرع على وَفْقِه.

وإذا قرَّر إنسانٌ من هَٰذَا الحديث - من أحبُّ النَّاس إليك؟، فقال: «**عَائِشَةُ**» - أنَّ الإنسان لا ينبغي أن يستحي أن يقول: أنا أحب زوجتي فلانة؛ فاستنباطه صحيحٌ إذا كان في مقامٍ يقتضي ذَٰلِكَ؛ كأن تكون بينها وبينه خصومةٌ، فتجري فيها حكومةٌ بحَكَمٍ من أهله وحَكَمٍ من أهلها، فيقولُ مثلَ هَٰذَا، أمَّا أن يبتدئَ الحديث بهَٰذَا فهو على غير سَنن الشَّرع ولِمَا كانت عليه العرب.

وما عدا هَٰذَا من الأفهام الَّتي تكون عند النَّاس من أهل اليمين أو من أهل الشِّمال فهي فُهومٌ سقيمةٌ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة الإخلاص

عن أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ**»، قالوا: وكيفَ يقرأُ ثُلُثَ القرآن؟، قال: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن». رواه مسلمٌ.

و عن أُبيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ المشركين قالوا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لنا ربَّكَ، فأنزلَ اللهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾. رواه التِّرمذيُّ وغيره، وهو حديثٌ حسنٌ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

لمَّا كان الدِّين مبنيًّا على الإخلاص أخلَص الله هَٰذِهِ السُّورةَ لنفسِه، آمِرًا رسولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبلِّغ عنه، فقالَ له: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: قل أيُّها الرسول مُبَلِّغًا: إنَّ الله هو الأحد المنفردُ بالكمالِ، المتفرِّدُ بالألوهيَّة والرُّبوبيَّة والأسماء والصِّفات، فلا يشاركُهُ أحدٌ فيها.

وأنَّه هو ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾؛ أي: السَّيِّدُ الكاملُ المقصودُ في قضاءِ الحوائجِ، فالخلقُ مفتقرونَ إليه، وهو مستغنٍ عَنهم، ومن كمالِه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فليسَ لهُ وَلَدٌ

ولا وَالِدٌ، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ فلا يُكافئه أحَدٌ في ذاتِه، ولا في أسمائِه، ولا في صفاتِه، ولا في أفعالِه - تبَارَكَ وتعالَى.

قَالَ الشَّارح وفَّقه اللّٰه:

هَٰذَا الَّذي ذكره المصنِّف في بيان معنى (الصَّمد): أنَّه (السَّيِّدُ الكاملُ المقصودُ في قضاءِ الحوائجِ)؛ يبيِّن أنَّ **صمدانيَّة الله تجمع معنيين:**

أحدهما: كمالُه وسؤدَدُه في نفسه.

والآخر: توجُّه الخلق إليه في ٱبتغاءِ حوائجهم.



قَالَ المُصَنِّفُ وفقه الله:

تفسير
سورة الفلق

عن عقبةَ بنِ عامرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ، لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾». رواه مسلمٌ.

ومعنى «**لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ**»؛ أي: في الاستعاذةِ بهنَّ.

وكان الرَّسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلةٍ جمع كفَّيهِ ثمَّ نفث فيهما بالإخلاص والمُعَوِّذتيْن، ثمَّ يمسح بهما ما ٱستطاعَ من جسَدِهِ؛ يبدأُ بهما على رأسِه ووجْهِه، وما أقبلَ من جَسَده، يفعل ذَٰلِكَ ثلاثَ مرَّاتٍ. رواه البخاريُّ.

وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا ٱشتكى يقرأ على نفسِه بالمعوِّذاتِ وينفثُ، ويمسح بيدِه، وإذا مَرِضَ أحدٌ من أهلِه نفثَ عليه بها. متَّفقٌ عليه.

❀ ❀ ❀

قَالَ الشَّارح وفقه الله:

ما ذكره المصنِّف في تفسير («**لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ**»؛ أي: في الاستعاذةِ بهنَّ)؛ معناه: أنَّ من خافَ شيئًا فأكملُ ما يتعوَّذ به أن يقرأ سورة الفلق والنَّاس على نيَّة الحفظ والحماية، فإذا خفتَ عدوًّا أو غيره فأكملُ من أن تقولَ: أعوذ بالله منه؛ أن تقرأَ هاتين السُّورتين على نيَّة حفظ الله عَزَّوَجَلَّ لك من شرِّه، فإنَّ الصَّادق المصدوق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ**»؛ أي: لا شيءَ يعدلهنَّ في الاستعاذة.

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾.

أمرَ الله الرَّسولُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في سورة الإخلاص أنْ يقولَ مُبلِّغًا، وأمَرَهُ في سورةِ الفلَقِ والنَّاسِ أن يقول متعوِّذًا، فقال له هنا: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ ﴾؛ أَيْ: أَلْجَأُ وأَعْتَصِمُ، ﴿ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾ وهو الصُّبح، ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ الله من المخلوقات، وأُريد به بعضُها، وهو كلُّ مخلوقٍ فيه شرٌّ.

ثمَّ ذكر بعض أفراد المخلوقات المشتملة على شرٍّ، فقال: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ وهو اللَّيلُ إذا ٱستحكم ظلامُه؛ لما فيه مِن ٱنتشار الأرواح الشِّرِّيرَةِ، والحيوانات المؤذية، وعند التِّرمذيِّ بسندٍ حسنٍ عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نظر إلَى القمر، فقال: «**يَا عَائِشَةُ؛ ٱسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَٰذَا، فَإِنَّ هَٰذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**»، فجعلَ القمرَ علامةً لَهُ.

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

هَٰذَا الَّذي ذكره المصنِّف في بيان معنى الحديث (أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نظر إلَى القمر، فقال: «**يَا عَائِشَةُ؛ ٱسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَٰذَا**»)؛ يريد اللَّيلَ، وجَعَلَ القمرَ علامةً له، فإنَّ

الَّذي تدلُّ عليه دلائل الشَّرع أنَّ محلَّ الشَّرِّ هو اللَّيل، ولو في زمنٍ لا يظهر فيه القمر، بل أشدُّ ما يكون الشَّرُّ في اللَّيل إذَا لم يظهرِ القمر؛ لشدَّة الظُّلمة.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ وهي الأنفُس السَّواحر من الرِّجال والنِّساء اللواتي يستعِنَّ على سحرهنَّ بالنَّفخ مع ريقٍ لطيفةٍ في العُقَد المشدودة عليه.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ وهو مَنْ يكره وصول النِّعمة إلى محسوده، ٱستعاذ منه إذا ثار حسدُه وَبَرَزَ.

وقد تضمَّنتْ هَٰذِهِ السُّورةُ الاستعاذةَ من أنواع الشُّرور عمومًا، ومن أصولِها خصوصًا.

❁ ❁ ❁

قَالَ الشَّارِح وفَّقه الله:

قوله في الجملة المتقدِّمة: (يستعِنَّ على سحرهنَّ بالنَّفخ مع ريقٍ لطيفةٍ)؛ تفسيرٌ للنَّفث: أنَّ النفثَ نفخٌ معه ريقٌ لطيفةٌ، فليس هواءً خالصًا، فالهواء الخالصُ يسمَّى: نفخًا، فإن صُحب بريقٍ لطيفةٍ سمِّي: نفثًا.

وما ذكره من تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ أنَّه قال: (وهو مَنْ يكره وصول النِّعمة إلى محسوده)؛ بيانُ حقيقة الحسد[1]، وأنَّه لا يلزم منه ٱقترانه بتمنِّي زوال النِّعمة، لكِنَّها مرتبةٌ من مراتبه.

فالحَسَدُ هُوَ: كَرَاهيَّةُ وصولِ النِّعمةِ إلى أحدٍ من الخلق، وَلَوْ لَمْ يَتَمَنَّ زَوَالَهَا. ذكرَهُ ٱبن تيميَّةَ الحفيدُ، وصَاحِبُهُ أَبُو عبدِ اللهِ ٱبنُ القيِّمِ، وَالوَضْعُ اللُّغوِيُّ يَدُلُّ عَلَيهِ.

---

(١) وقعَ هنا قطعٌ في التَّسجيل، وٱستُكمل الكلام من شروحٍ أخرى.

فمتى وُجِد هَٰذَا المعنى عُدَّ العبد حاسدًا وإن لم يتمنَّ زوال النِّعمة عمَّنْ هو فيها، فإذا تمنَّى ذَٰلِكَ كان حاسدًا حسدًا أشدَّ من مجرَّد مَنْ يكره وصول النِّعمة.

فالحسد وأهله مراتب ودرجاتٌ.



قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقه الله:

تفسير
سورة النَّاس

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾.

مستهلُّ هَٰذِهِ السُّورة كسابقتها؛ فإنَّ الله أمر رسولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن يقول مُتعوِّذًا، فقال له: ﴿قُلۡ أَعُوذُ﴾؛ أي: ألجأ وأعتصم؛ ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وهو سيِّدُهُمُ المالكُ والمصْلحُ لهم، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، ومُلكه من ربوبيَّته، لَٰكِن أُفرِد لجلالة موقعه، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: معبودِهم بحقٍّ، ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾ وهو الشَّيطان، ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ فيُحسِّن لهم الشَّرَّ، ويُقوِّي إرادَتَهم له، ويُقبِّح لهم الخيْرَ ويُثبِّطهم عنه، فإذا ٱستعاذ منه العبد تأخَّر وٱندفع عنه، فالخنَّاس هوا المتأخِّر المندفِعُ إذا ذَكَر العبد ربَّه وٱستعاذ به في دفْعِه، ومحلُّ وسوسته: صدورُ الخلق ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

تمَّ الكتاب بعون الله وحُسْن توفيقه
على يد جامعه لنفسه، ولِمَنْ شاء الله من خَلقه
صالحِ بن عبد الله بن حمدٍ العُصيميِّ
غفر الله له، ولوالديه ولمشايخه، وللمسلمين
في الثَّامن من شوَّالٍ، سنة ثلاثين بعد الأربعمائة والألف
بمدينة الرِّياض حفظها الله دارًا للإسلام والسُّنَّة

قَالَ الشَّارح وفَّقه الله:

قولـه: (ومحـلُّ وسوسـته: صـدورُ الخلـق ﴿مِنَ ٱلْجِنَّـةِ وَٱلنَّـاسِ﴾)؛ أي أنَّ إلقـاءه يكـون في صـدور الجِنَّة والنَّـاس، **فالوسوسـة**: إلقـاءٌ بـاطنٌ يحمل عـلى التَّثبيط عـن الخير، والرَّغبة في الشَّـرِّ، ويقابله **الوَشْوَشَـة**؛ وهـي: إلقـاءٌ ظاهرٌ للشَّـرِّ عـلى وجهٍ خفـيٍّ أيضًـا، فالوسوسة هي من أسلحة شياطين الجنِّ، والوشوشة هي من أسلحة شياطين الإنس.

وبهَٰذَا نكون بحمد الله قد فرغنا من شرح الكتب الَّتي هي في هَٰذَا البرنامج، وعِدَّتُها خمسةَ عشرَ كتابًا، نسأل الله أن يرزقنا جميعًا حُسن نعمتِه، وأن يزيدنا من فضله.

تَمَّ الشَّرْحُ فِي مَجْلِسَيْن
لَيْلَةَ السَّبْتِ السَّادسِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الآخر
سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاثِينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَة وَالأَلْفِ
فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ بِمَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

